أدلجة الإعلام في عصر العولمة والتحولات الدولية الراهنة في العالم العربي

تيطاوي الحاج*

الملخص :

لم يعد الإعلام في عصر العولمة مجرد أداة لنقل الأخبار ، وللترفيه والتربية كما كانت رسالته على مر السنين ، لقد أصبح الإعلام في عصر العولمة فضلا عن كل ما سبق ذكره يشكل قوة اقتصادية وأيديولوجية تصنع الحدث ، توجهه وتسوقه وتستثمر فيه سياسيا وتجاريا.

لقد أحدثت التحولات الحاصلة في الميادين السياسية والاقتصادية والتكنولوجية على المستوى الدولي إلى عديد التطورات في بنية العمل الإعلامي وعلى أداء وسائل الإعلام بشكل عام.

إن القوى المتحكمة في العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة ـ باتت منذ أحداث 11سبتمبر 2001 تستخدم الإعلام للانتقال بالعالم من الثنائية القطبية إلى عالم العولمة في القالب الأمريكي.

فصب العالم في قالب الولايات المتحدة الأمريكية يقتضي حسب أقطاب الدراسات الاستشرافية الأمريكيين ـ فرانسيس وفوكوياما ، صامويل هينجتنتون ، وتوماس فريدمان ـ تطويع شعوب العالم وتفتيت الدولة الوطنية القومية وإلغاء الحدود الإقليمية للدول وتتفيه الثقافات المحلية ، وخلق حالة من الإبهار المستمر لدى شعوب العالم الثالث بكل ما هو من الحضارة الغربية . وهي أدوار يتولى إعلام العولمة القيام بها.

الإشكالية: تتلخص مشكلة الدراسة في تقصي انعكاس هذا الاستخدام المفرط للإعلام من طرف قوى العولمة لتمرير أطروحاتها الأيديولوجية ومصالحها الاقتصادية وهي أهداف تتعارض في كثير من مساراتها مع مصالح وتوجهات وأيديولوجيات الدول والشعوب الأخرى ، بحكم اختلاف القيم

* كلية الحقوق والعلوم السياسية ـ جامعة خميس مليانة ـ الجزائر ـ البريد الالكتروني : titelhadj@gmail.com

الاجتماعية والإمكانيات الاقتصادية والظروف التاريخية بين الدول المهيمنة على فكر العولمة والدول والشعوب التي يراد لها الانخراط في مساراتها والتأقلم مع متطلباتها برضاها أو بإجبارها على ذلك .

والإشكال في كل ذلك أن العولمة يبدو أنها أوكلت مهمة تمرير أطروحاتها إلى ترسانة وسائل الإعلام والاتصال على اختلاف إشكالها ، من غير أن يكون لاختلاف اللغات والثقافات والأديان أي عائق بعد أن نجحت قوى العولمة في تخطي هذه العقبة عبر حلول تقنية ذللت كثير من الصعوبات التي ظلت تؤرق قوى العولمة .

فقوى العولمة ، في سيعيها لفرض نمط حياة غربي على كل شعوب العالم عنوة ، بقدر ما مكنها ذلك من تحقيق مزيدا من الأسواق الاستهلاكية لبضائعها ، ومزيد من الثراء لفائدة الشركات العملاقة وللدول المنتسبة لها ، بقدر ما تمضي العولمة في تحقيق هدفها الاسمي ، المتمثل في تحطيم حاجز الحدود أمام سريان السلع والخدمات والايدولوجيا تمهيدا لإعادة تشكيل المجتمع الدولي . إن ما يصنعه الإعلام في هدا العصر برعاية وتوجيه وهيمنة أمريكية ، يهدف إلى تغيير بنية المجتمع الدولي من أشكال كلاسيكية ، عرفها في مراحل تطوره التاريخي إلى أحادية فريدة من نوعها ، تبتلع كل ما قبلها من علاقات وإيديولوجيات وقوالب فكرية ، تلغي المسافات والحدود والانتماء المكان ، تختصر الزمن وتلتهم خصوصيات الأمم والشعوب التي يتميز بها كل مجتمع عن المجتمعات الأخرى.

الكلمات المفتاحية : العولمة الإعلامية ـ الإعلام السمعي البصري ـ ويكيليكس ـ الإعلام الجديد ـ الليبرالية الجديدة ـ القنوات الفضائية ـ الإعلام المحلي

Abstract :

Nowadays media is not just a means to convey and transmit news, for entertainment and education as it was years ago. It is rather, as we are in the era of Globalisation, an economic power and an ideology that effect economy as well as politics.

As a result of the changes, at the universal level, in politic, economic and technological sides, there is a clear change in the domain and activities of media in general.

Since the events of September 11th,2001 , the powerful countries(USA) that control the political and economic relationships have tried to use the media as a tool to globalise the world in an american shape.

According to the prospectives studies (such as the studies of Francis Fukuyama, Samuel Hingthon,Thomas Friedman),americanizing the world requires a stategy aimed at influencing people of the world and eliminate the limits of borders. It is also about influencing people through foreign civilisations.To acheive all these, the media has a great role to play .

مقدمة :

أحدثت التحولات الحاصلة في الميادين السياسية والاقتصادية والتكنولوجية على المستوى الدولي إلى عديد التطورات في بنية العمل الإعلامي وعلى أداء وسائل الإعلام بشكل عام ، فقد مكنت هذه التحولات المتسارعة من « تغيير طرق أداء القائمين على العملية الإعلامية في جوانب الأداء والتوجيه والتنفيذ ، وهو ما أوقع أثره ـ بالنتيجة على وظائف الإعلام التقليدية التي التزمت بها العديد من بحوث الإعلام والاتصال منذ سنوات طويلة تظهر الحاجة إلى دعم توجه أكاديمي ناشط لتطوير تلك الوظائف لتتلاءم مع المتغير الإعلامي المعاصر ، الوضع الذي أجتاز مرحلة التعددية ليبلغ حدود التفاعلية الواقعية النشطة ، يعرب باحثون غربيون وعرب فيها عن كامل ثقتهم بأنها تبدأ بالتحضير إلى نهاية مرحلة سيادة الإعلام التي كانت تتحكم بمفاتيحها النظم الحاكمة ، وتراجع نظريات أحادية الاتجاه والأثر الذي يخطط له القائم بالاتصال ويوجهه لمتلقٍ ساكن غير فاعل » (1).

(1) د.انتصار إبراهيم عبد الرزاق ود.صفد حسام الساموك ، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع ، الطبعة الالكترونية الأولى 2011 ص08

أولا ـ الإعلام الجديد ، معركة المفاهيم و الأدوار :

لم يعد « الإعلام » اليوم مجرد عملية إخبار عن حدث ، يتم استخدامه بنية إشباع حاجات وفضول الناس في الإطلاع والمعرفة وحسب ، بل التصقت هكذا عنوة بالإعلام مهمة قولبة عقول الأفراد والمجتمعات بالشكل الذي يخدم أولا وقبل كل شيء المتحكمين في وسيلة الإعلام وفي مضمونها ، وهي جهة قد لا يعرف اسمها ولا شكلها ولا حتى عنوانها أحيانا ، بل أن هذه الجهات كثير ما تجتهد في سبيل إخفاء مقاصدها وإلباس أهدافها أقنعة غير التي تقر بها صراحة ، فالمهم بالنسبة لهذه الجهات المجهولة أن التحولات التي تحدث بالشكل الذي تريده ، يخدم أهدافها ومقاصدها ، من غير حاجة إلى أن تظهر للعيان كمحرك لعملية التحول الذي تريد في الزمان والمكان وبالآلية التي تريد والأثر الذي تبتغيه.

وبفعل الاستخدام الواسع لوسائل الإعلام والتنبه البراغماتي لدورها الحيوي والخطير ، لم يعد دور الاعلام يقتصر على وظيفته الأساسية المتعارف عليها في الدراسات الأكاديمية للإعلام ، والتي تتمثل في « نقل الأخبار وتغطية الأحداث ، وتقديم المعلومات والآراء حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى الجماهير .

لقد تحول الإعلام من ناقل للحدث إلى صانع للحدث ، وأصبح تبعا لذلك يشكل في المشهد السياسي والعسكري والاجتماعي نصف رهانات المعركة ، بل وأكثر خطرا من المعركة العسكرية نفسها ، لذا قيل الحرب اقل خطرا من فتنة يصنعها الإعلام ، فالإعلام اليوم ليس عنصرا محايدا ، وان كان يجب أن يتحلى بالموضوعية »[1].

01 ـ إعلام عصر العولمة :

إن حال الإعلام في عصر العولمة ، يقتضي فهمه بشكل أكثر واقعية وتبصر سواء في طريقة توظيفه واستخدامه ، أو في حجم انتشاره وتوغله في حياة الناس والمجتمعات ، « فالإعلام لم يعد بريئا ، بل أصبح له موقف إيديولوجي وتوجه سياسي ، وبعد اجتماعي ، يعدل في الصورة ويضع أهدافا »[2].

لذلك يمكن أن نتحدث عن إعلام معاصر معولم ، غير محايد ، ملغم ، خاضع لأجندات خفية ، موجه ، إعلام علينا أن نحترس منه ، من غير ا ن نقصر

(1) د محمود عبد الله ، الإعلام وإشكاليات العولمة ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 عام 2010 ص279

(2) د محمود عبد الله ، الإعلام وإشكاليات العولمة ، المرجع نفسه ، ص279

في الاجتهاد لفهمه بأبعاده ، إعلام أهم سماته ـ التي تبعث على القلق ـ ما يلي :

ـ إعلام لايعترف بالحدود الجغرافية ، مجالا محددا لتدخلاته .

ـ إعلام متدفق ومستمر ، مبهر وملحاح .

ـ إعلام آني ، يعلن عن خدماته باستمرار ومتعدد الوسائط واللغات .

ـ إعلام مرتبط ارتباطا وثيقا بالتكنولوجيا .

ـ إعلام يستمد وجوده واستمراريته من الإعلان.

ـ إعلام مرتبط في الغالب بأجهزة خفية غير مصرح بوجودها خلف خطها الافتتاحي إن وجد لها خط افتتاحي فهو إعلام مرتبط بالمصالح ، مؤدلج في الغالب

ـ إعلام واسع الانتشار يتمدد ويتمطط إلى أن يشمل العالم كله.

ـ إعلام متغطرس غير عابئ بالأنظمة القانونية للدول ولا بالأعراف الدولية.

ـإعلام تتداخل فيه الثقافة والتعليم والاقتصاد والترفيه والأيديولوجيات والحروب .

ـ إعلام ، تتعدد وتتشتت مصادره إلى حد الغموض و التوهان ، ومتعمدا تختفي أحيانا أخرى إذا دعت ضرورة مصلحة المرسل ذلك .

ـ إعلام يتعامل دوما مع المعلومة كسلعة تشترى وتباع لأغراض قد لا يتم الإفصاح عنها إلا بعد أن يستنفذ إشاعة الخبر مهمته الحقيقية .

ـ إعلام قد لا يرضيه اعتماد الكتابة أو الصورة أو الصوت أداة للوصول إلى الجمهور المستهدف ، بل يعتمد كل ذلك دفعة واحدة .

ـ إعلام يمتطي كل اللغات للوصول إلى الهدف المنشود في أسرع وقت وبأقل تكلفة ، وبأقل زيغ عن الهدف المحدد .

ـ إعلام متلون ، لا يكترث كثير بالحقيقة لذاتها ، قدر اهتمامه بالسبق الصحفي وصناعة الحدث حتى لو كان كاذبا .

ـ إعلام مندفع نحو ضجيج الحدث ، غير مكترث بحالات الرتابة والسكون والاستقرار

ـ إعلام لا يكتفي بنقل الأحداث ، بل يساهم في صناعتها و توجيهها ورسم مآلاتها.

ـ إعلام يستمد حيوية وأهمية وجوده ، وسهولة اختراقاته لحياة الأمم والأفراد وفي كل المستويات ، من الثورة المعرفية والتكنولوجية الجديدة ، أو ما يسمى ثورة الانفوميديا« مما حصل في العالم من تقدم مذهل في إنتاج وإعادة إنتاج وتطوير الكثير من تقنيات وأساليب ووسائل الإعلام والمعلومات والاتصال والتواصل المتسارعة وبشكل غير مسبوق من حواسب وبرمجيات وأنظمة رقمية وفضائيات

وغيرها ، الأمر الذي أسهم ، بشكل غير مسبوق في تسريع وتجديد طرائق إنتاج وتداول المعارف والمعلومات والأخبار والمشاهد ، بل والأفكار والقيم وأنماط العيش وأنماط السلوك ، والمواقف والرؤى والمشاعر وتصورات العالم »[1] .

02 ـ الإعلام المعاصر أداة لسيطرة الدول المتقدمة :

إن الإعلام الجديد على حد تعبير الفن توفلر « بات يعبر عن التحول الحضاري الهائل الذي يشكل النقلة الفرعية المميزة لمناخ هذا العصر المعولم » [2].

بمقتضيات رغبة قوى العولمة ـ خصوصا الولايات المتحدة ـ وإصرارها على إحكام السيطرة على العالم من خلال الإعلام ، تم فرض نسق إعلامي عالمي متغلغل تميز خصوصا « بالتعظيم المتسارع والمذهل في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات بغية دعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة المتعددة الجنسيات ، على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى »[3].

تعبيرا عن هذا القلق عارضت أغلب دول العالم الثالث بعض القضايا محل النقاش الدولي مثل النظام الاقتصادي والثقافي والاتصالات العالمية الجديدة تخوفا من الانعكاسات السلبية للمنحى المسطر للإعلام في العالم حفاظا على خصوصياتها. لذلك عبرت كثير من الدول عن اعتراضاتها في اليونسكو وفي منظمة عدم الانحياز وفي منظمة الأمم المتحدة على منحى هذا الوضع الإعلامي الاتصالي الراهن .

لقد إعتبرت هذه الأخيرة انه من حق هذه الدول أن تعارض التدفق الإعلامي غير المتوازن لعدم قدرتها على صد هذا الموجة المتدفقة من الأخبار والأفلام والتسجيلات.ذات المضامين المبطنة ، مع أن بعض هذه الدول حاولت تأسيس وكالاتها الإعلامية الخاصة للتصدي لهذا التدفق لكن تأثير هذه الوكالات ظل بسيطا ، غير قادر في عمومه على أحداث الفرق في المواجهة التي احتضنت

(1) مصطفى محسن ، أطروحة نهاية التربية في الخطاب العولمي الجديد ـ في كتاب العولمة والنظام الدولي الجديد ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ديسمبر 2004 ص 156

(2) الفين توفلر ، تحول السلطة : المعركة والثروة والعنف على أعتاب القرن الحادي والعشرين ، ترجمة لبنى الريدي ، سلسلة الآلف ، الكتاب الثاني ج 2 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1995 ص 82

(3) محمد شومان ، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مجلة عالم الفكر ، 1999المجلد 28 أكتوبر/ديسمبر ، الكويت ، ص161.

منافساتها السماوات المفتوحة والتكنولوجيات المتطورة « فالغرب لا ينكر الفجوة بين الإعلام الغربي والمحلي ولكنهم يركزون على ما يصاحب التدفق الإعلامي الحر من مساعدات كالتي يقدمها البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمة. ويتعامل الغرب مع المعلومات على انه سلعة بينما تعامل معها الاشتراكيون ودول العالم الثالث على أنها تخدم الصالح العام »[1].

03 ـ التدفق الإعلامي ، معركة اليونسكو ودول العالم الثالث

حاولت اليونسكو منذ عام 1960 إيجاد آلية عملية لتمكين دول العالم الثالث من حقها في إعلام دولي ومحلي أكثر عدلا ، مع الحفاظ على ثقافتهم وسياستهم الوطنية بالتركيز على معالجة إشكالية التدفق الإعلامي ومراعاة الخصوصيات الثقافية والدينية والبيئية لدول وشعوب العالم الثالث ، مع دعوتها تحت ضغط دول العالم الثالث وحركة عدم الانحياز ، إبان فترة الحرب الباردة ، إلى تغيير نظام الاتصال العالمي مع منع تكريس واقع استعماري جديد يتم تجسيده عبر احتكار قنوات الإعلام والاتصال والهيمنة على إنتاج ووضخ تدفق المعلومات ، بالدعوة إلى خلق نظام معلوماتي جديد مع الدعوة إلى إحقاق إعلام حر متوازن.

وبرغم دعوة اليونسكو ومن خلفها كل دول العالم الثالث ـ التي تشكل 80% من سكان العالم ـ وسائل الإعلام العالمية والمحلية إلى التركيز الإعلامي على القضايا العامة كالجوع والفقر ومحو الأمية وتعميم الثقافة الصحية والبيئية وعموم المشكلات التي يعانيها الناس في مجتمعات العالم الثالث خصوصا .

إلا إن كل ذلك لم يكن له أن يحيد بما كانت تسعى إلى إحقاقه الولايات المتحدة والدول الصناعية عموما تحت ضغط الشركات المتعددة الجنسيات أو العابرة للقارات ، المهيمنة على جل أصول ملكية كبرى وسائل الإعلام والاتصال العالمية وكبرى الشركات العالمية للإنتاج والتوزيع الإعلامي .

لقد كان الطرح الغربي دوما يركز على رفض أي تقييد للتدفق الإعلامي ، والإصرار على إحقاق إعلام عالمي ومحلي حر ، بلا حدود جغرافية ولاقيود سياسية ، وهو ما تجسد عمليا فيما بعد من خلال البث التلفزيوني المباشر والفضائيات والانترنت بمختلف استخداماته ، كانت أمنيات دول العالم الثالث

(1) الأستاذ الدكتور عبد الرزاق محمد الدليمي ، الإشكاليات التي تحد من حرية الصحفيين المهنية ، دراسة في كتاب « الملتقى الدولي القانون وقضايا الساعة » الذي ناقش موضوع « أخلاقيات الممارسة الإعلامية بين ضوابط القانون وواقع المهنة » بمعهد العلوم القانونية والإدارية بالمركز الجامعي خميس مليانة ولاية عين الدفلى ـ الجزائر في 27/26 أكتوبر 2010 ص12/11

تركز على أهمية أولوية المساعدة الغربية على ردم الفجوة المعلوماتية بين دول الشمال ودول الجنوب ، من خلال مد يد المساعدة المادية ، التقنية والفنية لهذه الدول ، بما يتجاوب والخصوصيات الثقافية والظروف الداخلية لدول الجنوب من اجل تحول أكثر سلاسة نحو ديمقراطية حقيقية داخل هذه الدول .

04 ـ احتكار تكنولوجيا الإعلام والاتصال من أجل نظام دولي جديد

من غير انتظار إشارة القبول من احد ، كان الغرب بقيادة منفردة من الولايات المتحدة الأمريكية ـ بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ـ منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي ، وجد العالم نفسه قد قطع شوطا في مناخ إعلامي دولي وثقافي و تكنولوجي مغاير « عالم بلا حدود إعلامية إعلانية ، عالم يهيمن عليه النظام الرأسمالي العالمي الجديد ، يتم تمديده وتوسيعه وتعميمه عبر الإعلام على كل مناطق العالم الجغرافية ، وترسمه شبكات اتصالية معلوماتية عالمية تتخطى حواجز الزمان والمكان ، لتعميمه عالميا من دون دولة ومن دون أمم وشعوب ومن دون أوطان بمضمون متشابه أو واحد يخاطب مستهلكين متعددي العقائد والمذاهب والأهواء »(1) .

لتجسيد هذا العالم الجديد ، اجتهدت الدول الصناعية معية الشركات الكبرى في إحداث ثورة تكنولوجية في عالم الاتصالات ، الأمر الذي أدى إلى « تطويع تقنية الإعلام والاتصالات الفائقة القدرة على سرعة تبادل المعلومات ونشرها ، ما أدى إلى تكون مجتمع الإعلام الرقمي ، الذي اندمج فيه المكتوب والصورة والصوت في نظام (BITS) الذي يسمح بنقل الصوت والصورة والكتابة بسرعة الضوء ، مما أحدث تحولات جذرية في عالم الاتصال والتثقيف والترفيه »(2).

إن نصيب دول العالم الثالث من هذا التطور الكبير في عالم الإعلام والاتصالات الحديث يبقى زهيدا إذا ما قورن بما تكون الدول الصناعية والشركات المتعددة الجنسيات قد استفادت به اقتصاديا وسياسيا وحتى ثقافيا وتكنولوجيا.

صحيح أن الوضع التكنولوجي في مجال الإعلام والاتصالات في كثير من دول العالم الثالث قد عرف حراكا واسعا و هاما إذا ما تم مقارنة وضعها الحالي بما كانت عليه منذ عشريتين من السنين فقط ، إلا أن كل المؤشرات والأرقام ، تقر بان المستفيد الأكبر من التحولات التي عرفتها تكنولوجيا الإعلام و الاتصال في

(1) أ د أحمد علي الحاج محمد ، العولمة والتربية آفاق مستقبلية ، سلسلة كتاب الأمة ، العدد 145 الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ القطرية للطباعة ، 2011 ط1 ص 121

(2) د المنجي الزايدي ، ثقافة الشباب ومجتمع الإعلام ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت ، العدد 1 المجلد 35 يونيو/ ديسمبر 2006 ص 207

العالم هي الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول و الدول الصناعية الأوروبية وبعض الدول من خارج أوروبا مثل اليابان والصين وكوريا الجنوبية . ونستشف ذلك سواء من خلال ملكية الشركات الإعلامية والاتصالية العالمية التي ينتمي أكثر من90 % منها إلى هذه الدول الصناعية ، وتحتكر ذات الدول بشكل مطلق ، إنتاج مضامين المادة الإعلامية ، ونسب امتلاك أجهزة الاستقبال ، وعدد نسخ الصحافة المكتوبة ، ومعدلات الإبحار على صفحات الانترنت ، وعدد المواقع الاليكترونية وغيرها من الأولويات التي تضع العمل الإعلامي برمته تحت الهيمنة الغربية .

لقد تجلت أهمية وخطورة هذا الاحتكار الإعلامي في استغلال قوى العولمة، بقيادة الولايات المتحدة للمساحات الإعلامية والاتصالية المتاحة أمامها لفرض تصوراتها لكل ما يدور في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية ، دولية كانت أو محلية قطرية ، الأمر الذي جسد فعلا مقولة « أن من يملك المعلومة هو من يحكم ، وهو من يضع الشروط» .

في إشارة إلى هذه الهيمنة يلاحظ الباحثون الغربيون أن « الهدف المركزي للسياسة الخارجية الأميركية في عصر المعلومات يجب أن يكون كسب معركة التدفق العالمي للمعلومات والسيطرة على الموجات الهوائية مثلما كانت بريطانيا العظمى تسيطر على البحار في السابق»(1).

إذا كان يطلق سابقا على بريطانيا«الإمبراطورية التي لاتغيب الشمس عن مستعمراتها»كناية عن شساعة وامتداد سلطتها وتحكمها في دول وشعوب العالم منذ بداية النهضة الأوروبية ، فان شيئا كهذا ينطبق اليوم على الولايات المتحدة الأمريكية ، بوصفها الإمبراطورية التي تغطي بأقنيتها الاتصالية والإعلامية كل شبر من الكرة الأرضية وتجتهد على أن لا تغيب شمس الإعلام و المعلومة عن تصوراتها لشكل العالم في عصر العولمة ، وقد سطحت العالم لخدمة مقاصدها ، كما أشار توماس فريدمان ، وأنهت التاريخ في التوقيت الذي يناسب طموحاتها كما أراده فوكوياما ، وأججت الصراع لفائدة الحضارة الأقوى في عصر العولمة ، كما تصوره صامويل هنتنجتون.

قد حدث كل ذلك عندما تخلصت أمريكا والغرب من قيود القطبية الثنائية، ومن أطماع الاتحاد السوفيتي في اقتسام الكعكة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

الحقيقة انه منذ انفراد أمريكا بقيادة دول العالم ، بعد تفكك الاتحاد

(1) توماس ماكفيل«الإعلام الدولي: النظريات ، الاتجاهات والملكية» دار الكتاب الجامعي ، الإمارات العربية المتحدة العين ، 2005 ص167

السوفيتي ، اي منذ بداية تسعينيات القرن الماضي ، يكون الإعلام قد استخدم كأداة فاعلة ، ومؤثرة في سير الأحداث المحلية والدولية كما لم يعرفها أبدا من قبل ، برغم الأدوار المؤثرة التي تكون الإذاعة المسموعة قد لعبتها في أوج عطائها أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية . ومن الاستخدامات المؤثرة للإعلام في عصر العولمة ، نذكر ، التوظيف الاقتصادي والثقافي والإيديولوجي للإعلام من طرف قوى العولمة ، حيث يتم استنفاذ كثير من الوقت والجهد من طرف الباحثين والمحللين والمفكرين من شتى أصناف الاختصاصات ، بغية حصر ما تدره صناعة وخدمات الإعلام والاتصال من مكاسب مالية وثقافية وسياسية لفائدة قوى العولمة ، أكانت دولا مثل أمريكا وحلفائها ، أو مؤسسات اقتصادية ومالية مثل الشركات العابرة للقارات ، أو الشركات المتعددة الجنسيات ذات الصلة بقطاع الإعلام أو الشركات الأخرى ذات الصلة بالإعلان التجاري فقط .

لذلك أضحى من الصعوبة بما كان فصل أو استبعاد اي قطاع من القطاعات عن تأثيرات الإعلام سلبا أوإيجابا . وفي ذلك تقر كل الإحصائيات برجحان الميزان التجاري في المعاملات الإعلامية والاتصالية لمصلحة قوى العولمة بتفوق أمريكي في الغالب وبمسافة شاسعة عن باقي دول العالم .

إن رصد وقائع شهدها العالم ، ومعاينة كيف تم استخدام الأقنية الإعلامية ، وكيف تم تطويع العمل الإعلامي لأجل مقاصد ومكاسب معينة ، ولمصلحة جهة محددة ، ولرصيد ثقافة بعينها ، ولحساب أيديولوجية دون غيرها . سوف يتبين لنا كيف أن الإعلام منذ نهاية الحرب الباردة ، بداية التسعينيات من القرن الماضي ، وبجلاء اكبر ، منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، كيف أريد له أن يتموقع كأهم أسلحة قوى العولمة الموكل لها مهمة تهيئة مناخ الانتقال بالعالم من ثنائية قطبية آفلة آيلة للانقراض إلى حلم أمريكي يشع بوعود براقة جذابة ، حلم أمريكي هوليودي يريد أن يصب العالم كله في قالب واحد ، في مزيج قد لا يلقى الإجماع الذي تريده أمريكا ، غير بعيد عن تصوراتها التي تصب في وعاء مصالحها ومصالح الشركات العالمية المهيمنة على مفاصل الاقتصاد الدولي والتجارة العالمية .

ثانيا : الإعلام الدولي في خدمة حروب قوى العولمة

عندما التف الإعلام الغربي وحتى بعض الإعلام العربي حول جيوش الحلفاء المنتفضين من اجل تحرير الكويت من قبضة الرئيس العراقي صدام حسين ، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، كان الاعتقاد السائد آن المجتمع الدولي في هبته تلك إنما يقف إلى جانب الشرعية الدولية دعما لدولة كامل العضوية في المنظمة الدولية ، وفي مواجهة دولة أخطأت خطأ جسيما في انتهاكها لسيادة دولة الكويت .

حينما كان الإعلام العالمي ينقل تفاصيل معارك تحرير الكويت عام 1990، كان خبراء الدراسات الإستراتيجية الاستشرافية الإعلامية يجتهدون في تسويق صورة جديدة لأمريكا عبر قنوات السي أن أن ووالوكالات العالمية للأنباء خصوصا الاسوشايتد براس ، كدولة متحضرة تقوم برسالة إنسانية نبيلة ، تغسل يديها من دماء العراقيين ، فعبر شاشات التلفزيون والصحف العالمية ، كان الإعلام الغربي يلون تغطية الحرب على العراق بأخطاء يرتكبها صدام حسين المندفع ـ في غرور وسوء تقدير وهو يتحدى أمريكا وحلفائها بمظهر الند ـ بغير وعي بخطورة ما يحدث حقيقة في المخابر الدولية ، ولا استعداد ولا عدة في استعراض فلكلوري لصدام حسين ووزيره للإعلام « محمد سعيد الصحاف » لأسلحة دمار شامل ، وهمية ، دونكيشوتية ، وهو ما كانت تريده أمريكا أن يترسخ عند الرأي العام العربي والدولي .

اجتهدت الولايات المتحدة الأمريكية والإعلام المساند لها في ترويج حقيقة وجود قوة عسكرية مارقة تهدد امن الخليج العربي ، حجة لتبرير أول حرب دولية بعيد تفكك الاتحاد السوفيتي ، ظاهرها المشروع بالقانون الدولي ، تحرير الكويت ، غير أنها تخفي خلفها مشروعا عالميا جديد يجري الإعداد له في مخابر أمريكية ، لم تكن لتجهر به حتى لأقرب حلفائها الأوروبيين ونعني بذلك كل من بريطانيا وفرنسا خصوصا .

فقد أورد الدكتور مصطفى الدباغ بعض المواصفات لهذه الحرب المعلنة على العراق منذ 02 أوت 1990 على أنها حرب تتميز بكونها : معركة عسكرية ، لأنها للتدمير والإبادة ، وهي معركة استخباراتية لأنها اعتمدت العملاء والجواسيس ، وهي معركة سياسية لاتخاذها أسلوب التضليل والتمويه ، وهي

معركة اقتصادية بحكم ما فرضته من حصار ومقاطعة وتجويع ، وهي معركة جماهيرية لأنها استخدمت الدهماء والغوغائية وهي معركة إعلامية بامتياز ، لأنها اعتمدت الكذب والخداع والتعتيم والاحتكار الإعلامي والديكتاتورية الإعلامية (1)

إن الترسانة الإعلامية التي واكبت هذه الحرب ، سواء بالنظر إلى تعدادها أو نوعية وسائلها ، والمناخ الدولي الذي صاحب أطوارها كان عاملا حاسما في أن تترتب عليها عديد المكاسب الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بعيد عن الهدف الظاهر لها والمتمثل في تحرير دولة الكويت من قبضة صدام حسين .

لقد تم كتابة سيناريو الحرب ، وإخراجها فنيا إلى العلن ، وعرضها ، وتم حصد عوائدها ، كما أرادت مخابر أمريكا التي كانت بالفعل تمهد بجد لمرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي وما بعد اندثار المعسكر الاشتراكي وزوال الثنائية القطبية . وقد ساعد على تحقيق كثيرمن تلك المكاسب عاملين أساسيين :

01 ـ بساطة وسطحية الإعلام العربي

كان الشارع العربي المنقسم على نفسه ، منتشيا بالتضخيم المفرط لقوة صدام حسين والجيش العراقي من طرف الإعلام الغربي وحتى العربي ، سواء بالنسبة للمعجبين أو الناقمين على صدام حسين .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ من قوة العراق النووية المزعومة ذريعة لتأليب منطقة الخليج العربي وحتى البلدان العربية والإسلامية الأخرى ضد العراق لتبرير الحرب الاستعراضية الخاطفة التي أصرت أمريكا على شنها ، مع التلويح بالمخاطر الدولية والإقليمية لهذه القوة ـ الوهمية ـ واعتمادها كغطاء سياسي في مواجهة أي لائمة دولية على الولايات المتحدة الأمريكية جراء المخلفات السلبية لهذه الحرب التي استنفرت لها أمريكا ثلاثون دولة من كل القارات ، تبنت أمريكا مسؤولية قيادة التحالف .

إن إظهار الإعلام ـ المتحكم فيه أمريكيا غربيا ـ دولة العراق بمظهر القوة العظمى التي تتحدى أمريكا والتحالف الدولي ، كان يومها اعترافا يحرك الشارع العربي اعتزازا بعلماء العراق وما وصلت إليه العراق من قوة عسكرية واقتصادية وتكنولوجية ، هو وضع في الأساس كان يخدم الخطط والمقاصد الأمريكية ، التي كانت تبحث لها عن حرب مبررة ، مضمونة النتائج ، تدور رحاها في جوار المصالح السوفيتية ، يمكنها أن تعيد خلط أوراق المعادلة الشرق أوسطية ، بناء على متطلبات

(1) د . مصطفى محمد زكي الدباغ ، الخداع في حرب الخليج ، دار البشير ، الأردن ، 1992 ط1 ص 156

العصر الجديد ، المنبثق عن معطيات ما بعد الاتحاد السوفيتي ، المتفكك في ظروف غامضة من طرف بريسترويكا آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي غورباتشوف .

إن المبالغة في التصوير الإعلامي الدعائي لقوة أمريكا العسكرية والإعلامية والتكنولوجية والسياسية ، تقاطع وكثير من الممارسات الإعلامية والسياسية العربية التي صورت العراق قوة إقليمية تحمل لواء الدفاع عن العروبة والإسلام ، هي معادلة خدمت المصالح الأمريكية الباحثة عن مبررات التواجد السياسي والعسكري في الشرق الأوسط .

02 ـ التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والبث التلفزيوني المباشر للحرب

مع مطلع التسعينيات شهد العالم كله ، قبل وأثناء وبعد هذه الحرب على العراق ، كيف أن وسائل الإعلام والاتصال العالمية تمكنت من شد المشاهدين في كل القارات إلى أجهزة التلفزيون ، ولأول مرة تتبع العالم حربا على المباشر لكن بعيون أمريكية ، وبشكل غير مسبوق ، تتبع الناس من منازلهم تفاصيل الحرب من غير أن يتمكن أي صوت إعلامي أن يعلو على صوت السي أن أن ، وصوت أمريكا .

لقد أريد لهذه الحرب أن تكون نموذجا للقالب الأمريكي الذي تريد صب العالم كله فيه .

إن السرعة والكثافة اللتان تمت بهما تغطية هذه الحرب الخاطفة من جانب الإعلام الأمريكي والغربي عموما « أظهرتا التفوق التكنولوجي المذهل للإعلام الغربي والسيطرة المطلقة في مجال الاتصالات الإعلامية وأكدت أن من يملك الأدوات المتطورة الحديثة في هذا المجال يملك الحقيقة مهما كانت هذه الحقيقة في معايير الصدق والعدل » (1)

تزامنت حرب الخليج الثانية على العراق ، مع بداية البث التلفزيوني المباشر عبر القنوات الفضائية واتساع رقعة المشاهدة بفضل الأقمار الصناعية والانفتاح على القنوات التلفزيونية الخاصة والمتخصصة ، مع تزايد ملحوظ في نسبة امتلاك أجهزة الاستقبال الفضائي ، بعيدا عن الاحتكار الذي كانت تمارسه الأنظمة والحكومات على أنماط المشاهدة . الأمر الذي جعل الإعلام الغربي وفي مقدمته الإعلام الأمريكي ينفرد بالتحكم في مصادر الأخبار ومحتواها وفي توزيعها « فتكنولوجيا الاتصالات التي تم استخدامها في حرب الخليج الثانية هي التي أظهرت تكنولوجيا

(1) د . مصطفى محمد زكي الدباغ ، الخداع في حرب الخليج ، مرجع سبق ذكره ص 158

السلاح ، فحرب الخليج بكل المقاييس الإعلامية تعد أول حرب تلفزيونية في التاريخ ، وكانت الحرب الأولى التي تابعها التلفزيون متابعة دقيقة هي حرب فيتنام ، ولكن حرب الخليج كانت تشاهد على الهواء مباشرة ولم تعتمد على تسجيلها ثم إذاعتها فيما بعد كما حدث بالنسبة لحرب فيتنام ، فقد احتكرت الصورة المسرح تماما في الحرب الإعلامية المصاحبة لحرب الخليج »[1].

إن الواقع أنه منذ الحرب على العراق العام 1991 وبغض النظر عن المشروعية الدولية لهذه الحرب من عدمها ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية كشفت عن نواياإستراتيجية إعلامية جديدة ، لتفادي تجربة حربها على فيتنام عندما لم تضع في الحسبان نقل الإعلام العالمي صورا حية عن الممارسات الوحشية لجنودها ضد الشعب الفيتنامي ، الأمر الذي جعلها محل مساءلات داخلية وخارجية ـ وقد تأكدت معالم هذا التحول أكثر جلاء بعد أحداث 11سبتمبر2001 ـ فمنذ 1991بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تمهد لنفسها سياسيا ودوليا ، الحق في الالتفاف حول شعار حرية الإعلام وحق الصحفي في الوصول بنفسه إلى مصادر الخبر ، مع« العمل على فرض الهيمنة الكاملة والاحتكارية على تدفق المعلومات في البلدان الصديقة والعدوة على حد سواء . ولحماية المصالح الأمريكية من تطفل وسائل الإعلام ، تم فرض تعليمات مشددة للقوات الأمريكية العاملة في مناطق النزاعات وبشكل خاص في أفغانستان والعراق ، للتصرف مع الإعلاميين وفق هدف التغلب على تجربة الفيتنام »[2].

قد تمكنت « الصورة المتحركة » حقيقة أن تزحزح الكلمة المكتوبة كمصدر أول للمعلومات والإخبار وهذا منذ حرب الخليج الثانية 1991 بفضل زخم الإقبال القوي على جهاز التلفزيون والبث الفضائي المباشر عبر الأقمار الصناعية وبعدها الانترنت . هذا الوضع غير المسبوق جعل خبراء الإعلام يطلقون على حرب الخليج بأنها حرب التلفزيون ، لكونها أول حرب تعرفها البشرية ، يتم متابعة تفاصيلها مباشرة عبر التلفزيون ، لكن بعيون أمريكية المصدر في الغالب وهو ما لم يقو الإعلام العراقي والعربي من مواكبة صدمته المفاجئة .

(1) حمدي قنديل ، الجوانب القانونية والفلسفية في حق الاتصال ، مجلة الإعلام العربي ، العدد21 لعام 1992.

(2) شيلدون رامبتون ، و جون ستوبر ، أسلحة الخداع الشامل : استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق ، الدار العربية للعلوم ، بيروت لبنان ، 2004 ط 1 ص .177

ثالثا : الإعلام العالمي بعد أحداث 11سبتمبر2001. [1]

لاشك أنه منذ ظهور مطبعة غوتنبرغ في القرن الخامس عشر حوالي 1438 لم يعرف الإعلام ما يعرفه اليوم من تطور غير مسبوق في وسائله وفي استخداماته ، غير أنه من أهم مميزاته اليوم في عصر العولمة ، سيطرة السياسة والاقتصاد على الممارسة الإعلامية في كل مظاهرها.

يجمع كل الدارسين على أن أحداث 11 سبتمبر2001 كانت بالفعل فاصلا بين ما قبلها وما بعدها ، فبقدر تأثيرها على منحى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد انعكس تبعا لذلك تأثر الإعلام الأمريكي والعالمي بهذه الأحداث المروعة .

01 ـ أحداث 11 سبتمبر والمشهد الإعلامي الأمريكي المؤدلج :

لقد شاهد العالم كله صورا مروعة ، كانت أشبه بأفلام علم الخيال ، تلقفتها الفضائيات العالمية ، باندهاش وبلهنية ، تبين طائرات أمريكية تخترق برج التجارة الأمريكي العملاق ، صور تضمنت كل الدلالات التي تنبئ عن رد فعل أمريكي قادم ، لن يكون في قوته وعنفه اقل من عنف وقوة إرادة منفذي هذه الهجمات التي رفعت أمريكا في سبيل إحقاقها شعار «من ليس معي فهو ضدي» في اطار ما رأت انه حق لها في الدفاع الشرعي عبر الحرب الوقائية ، أو الحرب الإستباقية بتعقب مصادر الخطر الأمني على مصالحها في أي نقطة من العالم ، تجاوبا مع دعاوى القاعدة باستهداف مصالح أمريكا حيثما طالتها يد القاعدة .

تبعا لذلك لم تكن وسائل الإعلام الغربية والأمريكية بمنأى عن هذه المعادلة السياسية والعسكرية الأمريكية التي يمكن اعتبارها اقرب إلى سلوك انتقام الثور الجريح ، منها إلى سلوك الدولة القوية المقتدرة في تعقبها لمصادر التهديد.

إن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وجدت

(1) أحداث 11 سبتمبر 2001 هي مجموعة من الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001 م. تم فيها تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة نجحت في ذلك ثلاث منها. الأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمانهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية البانتاغون . سقط نتيجة لهذه الأحداث 2973 ضحية و24 مفقودا ، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة. و حسب الرواية الرسمية للحكومة الأمريكية ، يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 نفذ 19 شخصا على صلة بتنظيم القاعدة التي يتزعمها أسامة بن لادن هجمات إرهابية على التراب الأمريكي باستعمال طائرات مدنية مختطفة .

نفسها تتبنى سلوكيات تتنافى والقيم التي ظلت تحاول إقناع العالم بأهميتها تحت كل الظروف باعتبارها الطريق الأنجع لمبادئ الديمقراطية والحرية والمساواة والعدالة وتكافؤ الفرص .

بذريعة ملاحقة الإرهاب في العالم ، وبحجية وجوب التعاون الايجابي من طرف كل دول العالم مع حرب أمريكا على مع ما تراه إرهابا ، وهي المهمة التي سوقتها الولايات المتحدة الأمريكية وإعلامها على أنها « رسالة » تشمل ملاحقة القاعدة وكل أيديولوجية تقاسمها العداء .

إن الممارسات الأمريكية المتناقضة مع ما كانت تنادي به ، أظهرت أمريكا بعد أحداث 11 سبتمبر وكأنها تظهر ـ عارية ـ على حقيقتها مع أول اختبار حقيقي تواجهه بعد نهاية حربها الباردة مع السوفيات ، الأمر الذي جعلها « تدرك وبشكل متأخر جدا ، إنها قد خسرت سمعتها وهيبتها في هذا الميدان »(1).

ظلت الولايات المتحدة منذ سبتمبر 2001 تملي توجيهاتها ليس فقط على الدول ، ولكن أيضا على وسائل الإعلام والاتصال في العالم ، مستغلة في ذلك تفهم العالم للفاجعة التي أصابت أمريكا في مقتل ، عندما تم استهداف كبريائها بضربات 11 سبتمبر وما صاحب ذلك من هالة إعلامية وسياسية مثيرة للجدل ، وضعية كانت بنقيض ما كانت تروج له من عالمية النموذج الأمريكي و نهاية التاريخ ، وتسطح العالم تكنولوجيا ، إلى حسم صراع الحضارات لمصلحة الحضارة الغربية بزعامة أمريكا .

لذلك يعتقد الكثير من الدارسين أن العشرين سنة الأخيرة عرفت ثلاث أحداث رئيسية ، حددت شكل العلاقة بين الإعلام والعولمة ، خصوصا الإعلام السياسي منه ، لتظهر هذه العلاقة على الوجه الذي هي عليه ، من تداخل وتحالف إلى حد التوحد والانصهار ، هذه الأحداث هي : حرب الخليج الثانية 1991 ، أحداث 11سبتمبر2001 وحرب الخليج الثالثة 2003 »

02 ـ أمريكا تنقلب على قداسة مفاهيم حرية الإعلام

انعكست أحداث 11 سبتمبر 2001 بشكل ممنهج على تغييب وتعطيل المعايير المهنية للنشر والبث الإعلامي الأمريكي وبروز المعايير السياسية البعيدة تماما عن الموضوعية والدقة ، بل أن هذه الحقبة صاحبها تطرف كبير في إيجاد معايير سياسية أكثر تزييفا وجرأة وعلانية من ذي قبل تقوم على الفرض والقهر

(1) د صباح يسين الإعلام النسق ألقيمي وهيمنة القوة ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت 2006 طبعة 01 ص 13.

على المستوى السياسي يتبعه فرض وإملاء على المستوى الإعلامي ، ومع الاستمرار في هذه السياسة تتحول إلى أمر عادي ويقبلها الجمهور من قبيل الاستسلام واليأس ، وربما تتحول مستقبلا إلى أمر مقبول عن قناعة(1).

اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية تحت طائلة متطلبات ، ضبط إستراتيجية إعلامية عالمية لمحاربة الإرهاب في العالم ، وملاحقة من تسميهم المتطرفين من القاعدة ، إلى ممارسة كثير من التجاوزات ، التي طالما كانت تعيبها على باقي الأنظمة السياسية في العالم ، كقتل الصحفيين ومنهم طارق أيوب من قناة الجزيرة في العراق ، أو سجن الصحفيين مثل الصحفي سامي الحاج في غوانتنامو و تيسير علوني في أفغانستان أوقمع قنوات فضائية مثل قناة المنار اللبنانية التابعة لحزب الله أوقناة الزوراء والبغدادية العراقيتين وقناة العالم الإيرانية وغيرها .

اضطرت ـ أوتعمدت الولايات المتحدة الأمريكية بعد 11 سبتمبر2001 ، ـ منع الصحفيين وكاميرات القنوات التلفزيونية الفضائية من التواجد على مقربة من الأحداث وأوقفت ذلك على قنوات إعلامية بعينها ـ تحت داعي« الحصرية »أو احتكار حقوق البث ـ مثل شبكة السي أن أن و سكاي نيوز ، وهي قنوات إعلامية وجدت لتتعامل مع هذه الأحداث وفق منظور البيت الأبيض الأمريكي ، ونعني بذلك رسم الصورة الإعلامية للحرب على طالبان في أفغانستان والحرب على صدام حسين في العراق وملاحقة القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن في كل العالم .

كما اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية ـ بعكس ما كانت تنادي به ـ إلى الإملاء أحيانا على قنوات إعلامية العالمية ، لتبني مواقف الإدارة الأمريكية وسياساتها وتجتهد في تسويقها والترويج لها بأساليب متخلفة.

كشف رامسفيلد عن عجز الإعلام الأمريكي في مجال امتلاك المرونة والفورية على مستوى النشاط الإعلامي بعد أحداث 11 سبتمبر في مواجهة خصومها ، الذين بات بوسعهم أيضا استخدام تكنولوجيا الإعلام الحديث في مواجهة أمريكا بقوله « أعداؤنا تكيفوا ببراعة على خوض حروب في عصر الإعلام الحالي... ولكن بلادنا لم تتكيف ، وفي هذه الحروب بعض المعارك الأكثر دقة لا تجري بالضرورة في جبال أفغانستان ولا في الشوارع العراقية بل في مكاتب التحرير في مدن مثل نيويورك ولندن والقاهرة وغيرها ، وانه لابد من إنشاء مؤسسات جديدة لشن هذه الحروب الإعلامية الجديدة بحيث تحل محل

(1) د صابر حارص ، الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008 ، ص 104/ 105.

الأنماط القديمة ، مثل وكالة الإعلام الأمريكية أو إذاعة أوروبا الحرة اللتين أنشئتا خلال الحرب الباردة »(1).

حاولت أمريكا بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 أن تصرف أنظار العالم عبر الهيمنة على الإعلام العالمي لتفادي استسلام الرأي العام العالمي لنكسة كبيرة تعرضت لها الأطروحة الأمريكية لعالم ما بعد الحرب الباردة وانفراط عقد انتصارات التحالفات الأمريكية لفائدة من تسميهم « محور الشر » لذلك لم يتوان عالم الاتصال فرانسيس بال في تصوير الوضع الدرامي للموقف الأمريكي على نقيض ما تنبأ به العالم الكندي ماكلوهان منذ خمسينيات القرن الماضي ، بانكسار حلم القرية الكونية عند يقر معترفا « لقد انكسر حلم القرية الكونية مع مأساة نيويورك وواشنطن في 11 سبتمبر 2001 التي بددت آخر الأوهام التي نامت عليها السنوات العشر الأولى بعد نهاية الحرب الباردة »(2).

سرعان ما اتضح للرأي العام العالمي ـ المنتشي بترقب عالم ما بعد الحرب الباردة وانحصار المد الاشتراكي الشيوعي ـ ذلك البون الشاسع بين ما كانت تنادي به الحضارة الغربية من إطلاق الحريات بغير قيد أو شرط وما يتم ممارسته بكثير من التطرف اتجاه الممارسة الإعلامية غير المنضوية تحت مئزر القناعات الأمريكية ، وقد تم بالفعل رصد اللحظة الحقيقية في بداية تقييد حرية التعبير وإحكام الرقابة الأمريكية في رأي المعلق السياسي المعروف سلامة احمد سلامة متزامنة مع ظهور صورة أسامة بن لادن على شاشات الفضائيات لأول مرة وهو يوجه رسالته إلى العالم بعد أحداث 11 سبتمبر بأيام قليلة » حيث سارعت الحكومة الأمريكية ، فطلبت من مسؤولي الشبكات التلفزيونية وكبار محرري الصحف الأمريكية وجميع وسائل الميديا في الدول الحليفة في الغرب أن تمتنع عن إذاعة أو نشر أي شيء على لسان هذا الذي تطلق عليه مسمى « الشيطان المسلم » بحجة أن رسائله يمكن أن تحمل تعليمات سرية مشفرة إلى أتباعه من تنظيم القاعدة المنتشرين في جميع أنحاء العالم للقيام بعمليات إرهابية جديدة »(3).

إن أحداث 11 سبتمبر 2001 وما ترتب عنها ، دفعت الولايات المتحدة إلى تطويع كل السيناريوهات التي يمكن أن تحول محنة 11 سبتمبر إلى منحة ، يتم استغلال تداعياتها لمصلحتها مهما كلفها ذلك من أثمان ، سيناريوهات تضع

(1) د صباح ياسين ، الإعلام والنسق ألقيمي وهيمنة القوة ، مرجع سبق ذكره ، ص 13.
(2) فرنسيس بال ، ترجمة فؤاد شاهين ، الميديا ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت 2008 ، ص 128
(3) سلامة احمد سلامة ، أسطورة حرية الصحافة في أمريكا ، المنشور في11.21/ 2003 على الموقع الاليكتروني : www.aldjazira.net/inde pth.opinon

الولايات المتحدة الأمريكية في موضع الدولة النموذج أوالدولة المنتصرة دوما على خصومها ، ليس فقط كدولة قومية في مواجهة دولة أخرى ، أو في مواجهة جيوش نظامية تقليدية ، ولكن كنموذج لدولة الحداثة التي تقود النظام الدولي الجديد وتواجه العصابات أو من تسميهم الإرهاب العابر للقارات والإيديولوجيات والأفكار المتطرفة باعتبارها خلفية إسناد سياسي للإرهاب الذي يحول دون تجسيد حلم الشعوب في العولمة التي سينعم بها كل البشر.

إن علاقة الإعلام بالعولمة بعد 11 سبتمبر 2001 ، يمكن النظر إليها من زاويتين مختلفتين :

. الزاوية الأولى : علاقة تطور طبيعي جراء التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم ، كثورة تكنولوجية اتصالية باتت في متناول الجميع ، يمكن أن تتقاسم البشرية منافعها ، فتكون أداة للتواصل والتقارب واختصار الزمان وطي المكان ، وانفتاح الكل على الكل من اجل الكل .

. الزاوية الثانية : علاقة استغلال وتزييف الواقع ، وهو ما تريده أمريكا والغرب بدرجة اقل في هيمنتها واحتكارها لوسائل ومضامين الإعلام ، فقد تحول الإعلام أداة غارقة في محاولات فرض أسلوب حياة واحد على كل شعوب العالم ، لرصيد جهة واحدة ، وهو القالب الأمريكي الذي مستبدا بخصوصيات الآخرين لهيمنته على ناصية الإعلام والاتصال .

03 ـ الإعلام القوة الأمريكية الناعمة في العراق المحتل

يجمع الدارسون المتخصصون في مجال الإعلام والاتصال أن التكنولوجيا قد أعطت دفعا قويا لتواجد الإعلام في حياة الأفراد والجماعات والدول والأمم على حد سواء ، لذلك نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها الإعلام الغربي تصنف الإعلام في اطار «القوة الناعمة» التي تتيح لمن يمتلكها القدرة على الحصول على ما تريده عبر إقناع الآخرين بأهمية احتضان أهدافها ، في مقابل « القوة الصلبة» التي تعني اللجوء إلى استخدام أساليب الضغط الاقتصادي والقوة العسكرية لإجبار الآخرين على الرضوخ والإذعان ، وهو رأي اخذ به كل قادة الولايات المتحدة على اختلاف أحزابهم وسياساتهم القاضي باستخدام القوتين في آن معا في مواجهة خصوم أمريكا ، سواء ممن تصنفهم في خانة الإرهابيين أو من تصنفهم في خانة أعداء الديمقراطية .

انعكست تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001 وما بعدها خصوصا حرب أمريكا على العراق ليس فقط في أداء الإعلام الغربي والأمريكي ، لكن حتى على

أداء الإعلام العربي خاصة الفضائيات العربية ، حيث تراجع أداء الإعلام العربي الموجه نحو الخارج عندما اضطرته أحداث 11 سبتمبر إلى وضع دفاعي لتبرير كثير من السلوكيات العربية والإسلامية و« الانشغال بدفع الاتهامات التي يمكن أن تلصق به في كل مناسبة ، وقد ازداد منطق التخلي عن فكرة التصدي أوالمواجهة للعدوانية الأمريكية والصهيونية ، والضحى الحديث عن وحدة الأمة العربية في مواجهة الأطماع ، كذلك حق العرب في المقاومة ورفض الاحتلال حديثا شبه محرم خوفا من تهمة تشجيع الإرهاب »[1].

من مظاهر تأزم الإعلام العربي في هذه الفترة التي ما يزال الإعلام العربي يعايشها إلى الآن نذكر ما يلي:

ـ وقوع الإعلام العربي في فخ هيمنة الإعلام الغربي والأمريكي خصوصا ، وهذا من حيث مضامينه ، وزاوية تعاطيه مع الأحداث ، حتى بات وكأنه امتداد للإعلام الغربي خاصة في شقه الفضائي.

ـ عدم التحلي بالجرأة والشجاعة في استعراض أو الدفاع عن قناعات وقيم ومعتقدات وطنية داخلية شعبية وحتى رسمية لهيئات عربية كجامعة الدول العربي أو المؤتمر الإسلامي لانشغالات ذات الصلة بالقضية الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي واحتلال العراق والعلاقة مع إيران ، وبعض التهم الملصقة بالإسلام جهلا أوعمدا من طرف ساسة غربيين .

ـ تحول الفضاء العربي إلى مجال استراتيجي لتنافس عديد الفضائيات الغربية الناطقة باللغة العربية مثل قناة الحرة الأمريكية ، والبي بي سي البريطانية ، وفرانس 24 ، وميدي 1 سات الفرنسيتين ، وروسيا اليوم الروسية ، وأورو نيوز الأوروبية ، فضلا عن اكتساح عديد البرامج التلفزيونية الغربية المدبلجة إلى العربية كل الفضائيات العربية إلا ما ندر لأسباب إيديولوجية في الغالب .

ـ التشابه الكبير بين برامج عديد الفضائيات التلفزيونية ، وغياب المصداقية وابتعاد اغلبها عن مصادر الخبر واعتمادها على مصادر غربية في الغالب .

ـ ارتكاز الكثير القنوات الإعلامية على المادة الفنية والترفيهية والرياضية ، وهو ما تم اعتباره هروبا من رسالة التصدي والمواجهة التي يفترض أن يتحلى بها الإعلام العربي في عصر العولمة ، تفاديا للذوبان في القالب الغربي الأمريكي خصوصا .

ـ إغراق الفضاء الإعلامي العربي بعشرات القنوات الإعلامية العربية التافهة ،

(1) د صباح ياسين ، الإعلام والنسق ألقيمي وهيمنة القوة ، مرجع سبق ذكره ، ص 48 .

التي ترتكز على الابتزاز والتحايل على المواطن العربي ، هذه القنوات الإعلامية شوهت كل مصداقية ممكنة في الإعلام العربي ، بعد أن تكون عند المتلقي العربي الاعتقاد الجازم في خواء هذه القنوات الإعلامية ، مع تعميم الحكم على كل الإعلام العربي واعتبارها قنوات كلها غارقة في التنازلات مهنيا ، قنوات أهم صفاتها أن لها قابلية التحول في أي لحظة لتبيع فضائها لمن يدفع أكثر ، أو هي قنوات تستهدف الربح ، وبدون رسالة حضارية تتبناها .

رابعا : تسريبات ويكيليكس ، إعلام سياسة الفضائح الدولية

من أهم ما كانت تتباهى به الولايات المتحدة الأمريكية أمام كل الأنظمة السياسية وحكومات العالم ، ادعاءها ، استمرار تبنيها مبدأ الدفاع عن حرية التعبير عن الآراء دون قيد ولا شرط ، نزولا عند أهم مواد دستورها القاضية بعدم جواز التذرع بأي ذريعة لتقويض حرية التعبير« فقد اعترف قادة الثورة الأمريكية بالصحافة الحرة كعنصر من عناصر الحرية التي سعوا للحفاظ عليها. وقد جاء في إعلان فرجينيا للحقوق (1776) بان : « حرية الصحافة إحدى أهم أسس الحرية ولا أحد يقيدها أبداً سوى الحكومات الاستبدادية». وعلى نفس المنوال ورد في دستور ماساشوسيتس في عام (1780): « إن حرية الصحافة أمر أساسي لضمان الحرية في الدولة : ولهذا يجب أن لا يتم تقييدها في هذا الكومنولث». وعلى هدى هذين المثالين حرم التعديل الأول على الدستور الأمريكي؛ الكونغرس ، من سلطة اختزال حرية الصحافة وكذلك حرية التعبير المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً »[1].

غير أن الذي حدث منذ نهاية الحرب الباردة وبداية المساعي الأمريكية إلى فرض هيمنتها على العالم خصوصا بعد حرب الخليج الثانية ، أن كثير من المزاعم الأمريكية بشأن حرية الرأي والتعبير عمليا على الأرض بات محل انتهاكات أمريكية تحت مبررات كثيرة لعل أهمها محاربة الإرهاب ، ومواجهة محور الشر ، ومجابهة أعداء الديمقراطية ، وهي تبريرات اقرب ما تكون إلى منطق مكيافيللي في كتابه « الأمير »[2] ، بشأن مبدأه الشهير الذي صاغه لأمير ايطاليا « الغاية تبرر الوسيلة »عندما أجاز لحاكم روما الحق في استعمال كل السبل وكل الوسائل ،

(1) موقع ويكيبيديا الاليكتروني ، الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki/ يوم11/ 11 /2010

(2) كتب مكيافيللي كتابه الشهير« الأمير »عام 1513وهو عبارة عن نصائح لأقوى أمراء ايطاليا من اجل توحيد إمارات ايطاليا المتناحرة ، وهي بالخصوص إمارات نابولي ، فلورنسا ، جنوة ، وروما من غير أن يحدد أميرا معينا باسمه .

المشروعة منها وغير المشروعة ، الأخلاقية وغير الأخلاقية ، في سبيل إحقاق الغاية الكبرى ، المتمثلة في توحيد إمارات ايطاليا في القرن السادس عشر الميلادي نفس المنطق تكون الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها أوروبا الغربية والإعلام الغربي في غالبيته ، قد أخذت به على نطاق واسع لتبرير تضييقها على الرأي الآخر ، خاصة ما تعلق منه بما يجري في الشرق الأوسط والعالمين العربي والإسلامي .

01 ـ ويكيليكس إعلام العولمة ، الفوضى الخلاقة من أجل بناء شرق أوسط جديد

فتحت ذريعة تعميم وعولمة النموذج الغربي في قالب أمريكي ليشمل العالم كله ولو بالقوة على أن الشعوب والثقافات التي تقاوم هذا التحول لا تحسن التفكير ولا قدرة لها على استيعاب ما يحدث حولها رغم انه يصب في مصلحتها ـ وهي الغاية التي تحدث عنها مكيافيللي ـ لأجل ذلك أجازت أمريكا لنفسها الحق في بعض التصرفات التي تتنافى والقيم التي تأسست بموجبها الثورة الأمريكية والدستور الأمريكي ، ومن بينها إنكار الحق في حرية التعبير عن كثير من دول وشعوب العالم الثالث ، وما واكب تسريبات « ويكيليكس كشفت عن الاختراق الصارخ للحكومة الأمريكية للتعديل الأول في الدستور الأمريكي والذي يكفل ويضمن حرية التعبير وحرية الصحافة من دون قيود.

فلا الحكومة الأمريكية ولا وسائل إعلامها وحتى مؤسساتها المختلفة ، ولا المجتمع المدني أبدى أي احترام لموضوع مقدس في الأساس وهو دستور البلاد ، وهنا نلاحظ التناقض الصارخ بين ما تدّعيه أمريكا وما تعلن عنه وما تمارسه. فالنفاق أصبح منهجيا ومنظما ، والحضارة الغربية لم تعد تحترم مبادئها ، ولا القيم التي تنادي بها والأسس التي تقوم عليها »[1].

ما حدث مع تسريبات موقع ويكيليكس لرئيسه جوليان اسانج[2] ، في 2010 ، وقبله ما حدث بعد هجمات 11 سبتمبر2001 على الولايات المتحدة

(1) أ.د / محمد قيراط ، عميد كلية الاتصال ، جامعة الشارقة ، تحت عنوان « جوليان أسانج ، رجل العام » مقال منشور على موقع الشروق الاليكتروني www.echoroukonline .com يوم 2010.12.29

(2) جوليان أسانج 1971 من مواليد ، تاونسفيل ، كوينزلاند باستراليا ، هو صحفي وناشط في الإنترنت ومبرمج استرالي ، معروف بمشاركته في موقع ويكيليكس . حصل على جائزة من منظمة العفو الدولية في 2009 في عام 2006 ، أسس أسانج موقع ويكيليكس الذي « يهدف إلى نشر الأخبار والمعلومات المهمة إلى الجمهور » من خلال نشر وثائق سرية ، لاسيما حول الحرب الأمريكية في أفغانستان والعراق . وقد حظي الموقع منذ افريل 2010 باهتمام كبير ، حيث أعلن الموقع عن بدئ تسربت مجموعة وثائق من حوالي 400000 وثيقة فيما يسمى سجلات حرب العراق بالتنسيق مع عدد من المؤسسات الإعلامية التجارية الكبرى في أكتوبر 2010 ، حيث سمحت تلك الوثائق بالكشف عن كثير من الأسرار العسكرية والدبلوماسية الأمريكية مع دول العالم خاصة منها العربية والإسلامية ، وفي نوفمبر 2010 بدأت ويكيليكس بالإفراج عن برقيات الدبلوماسية للخارجية الأمريكية التي تقدر بحوالي 250 ألف وثيقة.

الأمريكية ، وحتى مع بداية حرب الخليج الثانية 1991 على العراق ، عصف بكثير من القيم النبيلة التي كانت ترفعها الحضارة الغربية من قبل في وجه الأنظمة السياسية في دول العالم الثالث ، بدعوى أن هذه الأنظمة تضيق على شعوبها بشأن حرية التعبير ، سواء في حق الرأي الآخر لدى المعارضة أو الأقليات أو حتى لدى الأفراد .

لم تكن الليبرالية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تقبل أي تبرير من هذه الأنظمة ـ لما تسميه قمعا لحرية التعبير ـ حتى لو تعلق الأمر بما تراه هذه الأنظمة ثوابت وطنية أو خطوط حمراء لا يجب المساس بها ، أو حقها في فرض النظام والحفاظ على الآداب العامة .

لكن عند أول اختبار جاد لليبرالية الغربية بعيد الحرب الباردة ، كانت الولايات المتحدة و أتباعها من دول أوروبا تبحث عن كل المبررات لإقناع العالم بحق أمريكا في احتكارها للمشهد الإعلامي العالمي ، وضرورة التضييق على هذه الحرية بدعوى رفض إفساد الإستراتيجية الأمريكية التي تتولى ـ نيابة عن العالم ـ ملاحقة الرئيس العراقي صدام حسين وأسلحته النووية المزعومة عبر تقارير استخباراتية أمريكية كاذبة ، ثم ملاحقة الإرهاب العالمي ثم ملاحقة القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن .

أحدثت تسريبات موقع ويكيليكس التي تحصل عنها عبر سرقة الجندي الأمريكي برادلي مانج[1] ، هزة دبلوماسية عنيفة ، أحرجت الولايات المتحدة الأمريكية ، بقدر إحراج كثير من الأنظمة العربية والغربية والدبلوماسيين العرب والأوروبيين لتضمنها ما يمكن تصنيفه في خانة « سري للغاية » في علاقة الدبلوماسية الأمريكية بالأنظمة الأخرى خصوصا العربية والإسلامية منها . وتفضح الوثائق التي نشرها الموقع طريقة التعاطي التي غالبا ما تبقى سرية للدبلوماسيين الأمريكيين مع عدد من القضايا. وأكد الموقع أنه رغب من خلال نشر هذه الوثائق ، التي تمكنت خمس صحف دولية فقط من الإطلاع عليها لوموند الفرنسية و« نيويورك تايمز » الأمريكية ودير شبيغل الألمانية والغارديان البريطانية والباييس الاسبانية في إبراز « التناقض » بين الموقف الأمريكي الرسمي و« ما يقال خلف الأبواب الموصدة ». وقبل نشر الوثائق ، أجرت الولايات المتحدة التي علمت مسبقا بمحتوى الوثائق ، اتصالات بالحكومات حول العالم ومن بينها

(1) برادلي مانج الجندي الأمريكي الذي يعتقد انه سرب وثائق الخارجية الأمريكية السرية لموقع ويكيليكس الاليكتروني ، قدمته الاستخبارات الأمريكية إلى الرأي العام على أنه مثلي الجنس وبصفته محللا للاستخبارات كان برادلي يطلع على معلومات كثيرة عبر شبكة « سيبرن سيكرت بروتوكول روتر نتوورك » وهي نظام خاص للتشارك في المعلومات بين مختلف فروع الحكومة الأمريكية .

حكومة روسيا وحكومات دول في أوروبا والشرق الأوسط في محاولة للحد من أي ضرر. وبعد النشر ، استنكر البيت الأبيض التسريب «المتهور» لهذه الوثائق على اعتبار أنها تعرض «حياة البعض للخطر» ، وأعلن بريان وايتمان المتحدث باسم البنتاغون ، أن وزارة الدفاع اتخذت« خطوات للحيلولة دون تحميل معلومات كمبيوتر سرية على وسائط تخزين نقالة» (1).

لقد كانت اغلب البرقيات المسربة قد تناولت الحرب الأمريكية في كل من العراق وأفغانستان ، إلا أن الكثير منها لها امتداد إلى العلاقات الأمريكية العربية والإسلامية ، وتمس علاقة البلدان العربية فيما بينها ، والعلاقات السرية لبعضها مع إسرائيل وعلاقتها التآمرية مع أمريكا على إيران وعلاقتها السرية باللوبي اليهودي في أمريكا والعالم.

فقد أورد موقع قناة البي بي سي البريطانية يوم 29 نوفمبر 2010 قراءة في بعض نماذج البرقيات التي تم تسريبها في دفعة قدرت ب 250 ألف برقية كلها ذات الصلة بالدبلوماسية الأمريكية وتقارير سفاراتها وقنصلياتها الموفدة من البلاد العربية والإسلامية ، تم نشر عدد كبير منها على دفعات ، أجبرت كثير من الأنظمة السياسية والدبلوماسيين على حبس أنفاسهم ، والبحث المسبق عن مخارج للورطة التي وضعتهم فيها هذه التسريبات .

02 ـ نماذج لعناوين بعض البرقيات التي سربها موقع ويكيليكس

- **ويكيليكس :** الامريكيون يعلمون بتهريب السلاح من كينيا إلى جنوب السودان
- **ويكيليكس :** ألقذافي «هدد» البريطانيين بشأن المقرحي
- **ويكيليكس :** المحيط العائلي لبن علي «أشبه بالمافيا»
- **ويكيليكس :** الامريكيون يراقبون عن كثب الدور الصيني المتنامي في القارة الإفريقية
- **ويكيليكس :** صحف باكستانية تنشر برقيات زائفة معادية للهند
- **برقيات ويكيليكس :** البابا ساعد في إفراج إيران عن البحارة البريطانيين
- **ويكيليكس :** مصر هددت إيران بالتدخل في شؤونها
- **ويكيليكس :** خطط طوارئ أطلسية للدفاع عن دول البلطيق
- **ويكيليكس :** قطر تستخدم «الجزيرة» للمساومات في سياستها الخارجية

(1) عن موقع قناة فرونسا 24 البيت الأبيض يستنكر التسريب «المتهور» لهذه الوثائق يوم 2010.11.29 http://www.france24.com/ar/

- **ويكيليكس :** يسرب قائمة بمنشآت ذات أهمية للأمن الأمريكي
- **ويكيليكس:** وثائق عن سماح اليمن بتنفيذ عمليات ضد القاعدة على أراضيه
- **ويكيليكس:** القذافي يعتمد على ممرضته الأوكرانية ويحب رقصة الفلامنجو
- **ويكيليكس :** القاهرة طالبت واشنطن بتأجيل استفتاء جنوب السودان
- **ويكيليكس :** القذافي كاد أن يتسبب في« كارثة »
- **ويكيليكس :** الصين« محبطة »من كوريا الشمالية
- **ويكيليكس:** المر قدم النصح لإسرائيل لغزولبنان وتدميرحزب الله
- **ويكيليكس:** وثيقة حديثة وصفت روسيا بأنها« دولة مافيا »

- **ويكيليكس عن دبلوماسي أمريكي :** كرزاي يعاني من الضعف وجنون الارتياب

فبرقيات ويكيليكس التي تم تسريبها إلى التناول الإعلامي بشكل مفاجئ تحت عناوين إعلامية كبيرة ومثيرة منذ أكتوبر 2010 ، أحيطت بضجة إعلامية أمريكية اتجهت صوب مؤسس ويكيليكس جوليان اسانج ، مع زوبعة إعلامية وقضائية بريطانية بشأن سجن اسانج بتهمة بعيدة كل البعد عن موضوع التسريبات والمتمثلة في الاتهام بالتحرش الجنسي ، وبقدرما أثير أن هذه التسريبات أحرجت الخارجية الأمريكية ، يمكن اعتبار هذه التسريبات مسعى جديدا مقصودا من طرف الدبلوماسية والاستخبارات الأمريكية التي تسعى إلى إيجاد آلية ذكية لفرض تواجدها في الشرق الأوسط وتحديدا في العالمين العربي والإسلامي بعيدا عن أسلوب الإملاء الكلاسيكي غير المستساغ شعبيا ورسميا في العالمين العربي والإسلامي .

من خلال قراءة متأنية في أغلبية هذه البرقيات التي احتلت صدارة عناوين وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة المرئية ، كمانشيت مست عدد كبير من دبلوماسيي العالمين العربي والإسلامي ، جعلت الكل يترقب جديد ما تم تسريبه من كواليس تقارير الدبلوماسية الأمريكية بشأن جل دول العالم ، إما بكونها جزء من هذه التقارير أو من باب الفضول.

03 ـ الإعلام والايدولوجيا في تسريبات ويكيليكس

بعد مرور اقل من سنة عن بداية هذه التسريبات ، بات جليا أن الدبلوماسية الأمريكية لم تكن الخاسر الأكبر في هذه التسريبات ، إن لم تكن فعلا هي الرابح الأكبر ، ولعل ما ترتب عن هذه التسريبات في اقل من شهرين في المنطقة العربية ، يوحي بشكل أوبأخر إلى حجم واثر ما ترتب عن هذه التسريبات الذي يمكن اعتباره جزء من سيناريو« الفوضى الخلاقة » التي تحدث عنها رئيسة الأمن القومي

الأمريكي الأسبق كونداليزا رايس ، الأمر الذي جعل كثير من الأنظمة العربية والإسلامية ورموزها السياسية محل استصغار الى درجة الاحتقار الشعبي في أعين مواطنيها واعين الرأي العام الداخلي والخارجي ، حتى بات ينظر إلى الهزة التي أحدثتها تسريبات وكيليكس عربيا وإسلاميا وكأنها محاولة « تفكيك صورة هذه الأنظمة » في أعين شعوبها تمهيدا إلى إعادة تشكيلها من جديد في قالب جديد يراد إحقاقه ، بعد أن استعصى تطويعها بشكل يرضي قوى العولمة وبأقل الخسائر وقد يكون الترويج لمصطلح الربيع العربي منذ 2011 من النتائج التي كان يراد تعويم الشارع العربي بها .

خامسا : الإعلام الجديد والتحولات السياسية في المنطقة العربية

لم يعد خفيا الدور المؤثر الذي بات يلعبه الإعلام على أكثر من مستوى ، وبغض النظر عن حجم المعاملات واتجاهاتها ، والمداخيل التجارية المتأتية عن طريق الصناعات الإعلامية المختلفة وبغض النظر عن مناصب الشغل المتصلة بقطاع الإعلام في سوق الشغل كمورد رزق للملايين في العالم ، فان للإعلام وبالخصوص الإعلام الجديد في عصر العولمة يتم استخدامه بشكل ذكي في انجاز مهام ابعد ما تكون عما كان يضطلع به من مهام كلاسيكية ، متمثلة في وظيفة الإخبار أو الترفيه أو التثقيف أوالإعلان أوالتربية . فوسائل الإعلام الجديدة خصوصا الانترنت أصبحت في مقدمة الوسائل المستخدمة لتحقيق مكاسب سياسية وإستراتيجية تتموقع من خلالها الدول وترسم عبرها السياسات الخارجية .

01 ـ الإعلام الجديد أداة للتغيير السياسي في المجتمع المعاصر

جاء في تقرير الدورة 88 للكونغرس الأمريكي ما يأتي« يمكننا أن نحقق سياستنا الخارجية من خلال التعامل المباشر مع شعوب الدول الأجنبية بدلا من التعامل مع حكوماتها ، ومن خلال استخدام تقنيات الاتصال الحديثة ، يمكننا اليوم أن نصل على قطاعات كبيرة أو مثمرة من السكان في تلك البلدان ، و أن نؤثر في اتجاهاتهم ، بل و يمكن في بعض الأحيان أن نحرضهم على سلوك معين من أجل أن يمارسوا ضغوطا ملحوظة على حكوماتهم »(1).

في ذات السياق أشار وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كيسنجر في كتابه

(1) حامد يوسف حمادي ، ورقة مقدمة إلى اجتماع اليونسكو في اسطنبول ، صحيفة الإعلام ، ع 249 ، بغداد 8 / 2003/1

«الدبلوماسية»الصادر عام 1994إلى أن « تنفيذ السياسة الخارجية يجب أن ترتبط على نحو لم يسبق له مثيل بوسائل الاتصال الجماهيري ، فهي إلى حد كبير سياسة خارجية إعلامية جماهيرية أوشعبية »(1).

عبر الرسالة الإعلامية المسوقة نحو الدول النامية ، تحاول قنوات البث الفضائي التلفزيوني والانترنت أن تقولب الاتجاهات و الأنماط السلوكية والقيم الاجتماعية وبما تطرحه دول العولمة ، إذ أن وسائط الإعلام تمارس دورها في حقن عقول الجماهير بالخيالات والصور الموحدة والمتوحدة التي تخدم الهدف السياسي للشكل الكوني لظاهرة العولمة ، مما يصعب من وجود قاعدة كبيرة للآراء الجماعية في كل شيء ، وهذا الأمر يجعل من الاختراق المتعدد الأشكال سهلا وممكنا(2).

كل مؤشرات استخدام الإعلام في عصر العولمة تشير إلى تنازع عديد القوى لمضامين المادة الإعلامية لأجل مصلحة ما ، قد تتقاطع وقد تتعارض وقد تتناغم .

حجم انتشار القنوات الفضائية التلفزيونية الملتقطة في المنطقة العربية ، وحجم استخدام الانترنت ، وكثافة استخدام الهاتف المحمول ، وتزايد حجم الاهتمام الإعلامي بالمنطقة العربية والشرق الأوسط عموما ، كل ذلك يشير إلى أهمية وخطورة ما يحدث من تركيز إعلامي مكثف على كل ما يحدث في المنطقة بغض النظر عن أهميته ، مع طغيان مبدأ الانتقائية في التركيز على أحداث ومعلومات معينة دون أخرى يتم إعطاءها السبق في التعاطي الإعلامي ، فضلا عن الاجتهاد عبر كل الأساليب في تلوين الحقائق وتحريفها أحيانا « فلم تعد المؤسسات الإعلامية تكتفي بانتقاء الأخبار التي تصب في مصلحتها وتتجاهل حقائق أخرى ، بل تلجأ إلى تلوين الحدث نفسه وتحريفه من أجل أن يعرض ويفسر لمصلحة الوضع القائم ، وتلوين الخبر هو تعمد إبراز وجه خاص منه وإخفاء وجه ، ويؤدي هذا التلوين بدوره إلى تكوين صور ذهنية خاطئة عن الأحداث في أذهان المتلقين ، وهناك الكثير من الأحداث التي تقع في العالم تتحمل تفسيرات عديدة ووجهات نظر مختلفة »(3).

يكون هذا الوضع قد جعل المتلقي العربي في كثير من الدول العربية والحكومات يتجاوز الإعلام الرسمي وحتى القنوات الإعلامية الخاصة ، ويختار

(1) هنري كيسنجر ، ترجمة : مالك فاضل ،الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا ، الدار الأهلية عمان ، 1995 .
(2) د.حميد حمد السعدون ، العولمة وقضايانا ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999 ، ص22
(3) د.انتصار إبراهيم عبد الرزاق و د.صفد حسام الساموك ، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع ، الكتاب الأول ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، جامعة بغداد ، الطبعة الاليكترونية الاولى2011 ص 81

قنواته الاتصالية بعيدا عن سلطة التحكم التي تمارسها الأنظمة الحاكمة بضوابط محددة ، تحت ذريعة المصلحة العامة وشروط حفظ النظام العام وحجة مراعاة الآداب العامة .

02 ـ استخدامات الإعلام الجديد عالميا وعربيا

أصبح الإعلام الجديد في السنوات الأخيرـ خصوصا منذ العام 2010 بعد تمكن الاستخبارات الأمريكية من قتل زعيم القاعدة أسامة بن لادن وبداية الثورات العربية ـ يشكل بالفعل هاجسا حقيقيا يزعزع بنى علاقات الإعلام التقليدي في كثير من المجتمعات ، عندما بدأ يظهر نمط جديد للإعلام المتداول من غير القنوات الكلاسيكية ـ الصحف ، الإذاعة والتلفزيون ـ وهو بديل عملي عن الإعلام الكلاسيكي الذي تتحكم في توجهاته بشكل أو بآخر قوى تقليدية مهيمنة ، على رأسها الأنظمة السياسية الحاكمة ، التي ترمز في وجودها إلى نموذج « الدولة القومية » بكل مكوناتها المعروفة ، من سلطة عامة ، وإقليم محدد ، وشعب حامل لجنسية محددة ، وطبقة سياسية من أحزاب حاكمة وأحزاب معارضة .

فالإعلام الجديد عبر الفيس بوك face book وتويترtwitter اليوتوب YouTube وغيرها من قنوات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت ، وفر كثير من الفرص لاختزال أو استيعاب كل الأشكال الكلاسيكية لوسائل الإعلام المعروفة ، كالتلفزيون ، الإذاعة وحتى الصحف والمجلات ، التي لم تجدا بدا من أن تستخدم هي الأخرى تقنية الانترنت للوصول إلى جمهور أوسع تفاديا لانحصار وتراجع دورها أمام تصاعد استخدامات الانترنت الأخذة في التزايد يوما بعد يوم بشكل كبير ، حيث تشير إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات ، أن عدد مستخدمي الانترنت في العالم وصل إلى ملياري مستخدم مع مطلع العام 2011 ،حيث ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية(AFP) أن حمدون توري ، رئيس الاتحاد الدولي للاتصالات ، التابع للأمم المتحدة ، أشار إلى انه في مطلع العام2011 ،تجاوز عدد مستخدمي الانترنت بقليل الملياريين ، وبلغ عدد المنتسبين لخدمة الهاتف النقال أكثر من خمسة مليارات نسمة. وأشار توري إلى أنه ي مطلع سنة 2000 بلغ عدد مستخدمي الانترنت في العالم حوالي250 مليون مستخدم ، وكانت دراسة سابقة أشارت إلى أن عدد مستخدمي الانترنت في العام الماضي شهدت زيادة بنسبة 14 % عن السنة السابقة أي العام 2010[1].

(1) حمدون توري ، رئيس الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات مستخدمي الانترنت في العالم للعام 2010 على الموقع الاليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ـ topic يناير 27 ، 2011 الساعة 8:36

تتوزع كثافة استخدام الانترنت في العالم مع بداية العام 2011 حسب ما أوردته إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، على النحو التالي : (1)

ـ 825.1 مليون مستخدم في أسيا ، و 475.1 مليون مستخدم للانترنت في أوروبا ، و 266.2 مليون مستخدم في أمريكا الشمالية و 204.7 مليون مستخدم في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي و 110.9 مليون مستخدم للانترنت في إفريقيا و 63.2مليون مستخدم في الشرق الأوسط و 21.3 مليون مستخدم في اوقيانوسيا واستراليا فيما بلغت كثافة استخدام البريد الاليكتروني عبر الانترنت عام 2010 ما مجموعه 107 تريليون رسالة الكترونية تم إرسالها في العام 2010 عبر الانترنت من كل أنحاء العالم ، بمعدل 294 مليار رسالة الكترونية مرسلة في كل يومي عبر الانترنت ، يقوم بإرسالها مليار و880 مليون مستخدم عبر العالم بزيادة قدرها 480 مليون مستخدم جدد عن العام الذي سبقه .

ـ وقد بلغ عدد المواقع الاليكترونية حتى ديسمبر 2010 مجموع 255 مليون مواقع الكتروني ، بزيادة قدرها 21.4 مليون مواقع الكتروني مضافة عن العام2010. أما عن بالنسبة لاستخدام الشبكات الاجتماعية ، فقد بلغ عدد المدونات 152مليون مدونة على شبكة الانترنت منها :

25 مليار عدد الرسائل المرسلة على Twitter في العام 2010 175 مليون عدد الأشخاص المبحرين على Twitter حتى أيلول 2010 600 مليون مستخدم على Face bookحتى نهاية العام 2010 250 مليون مستخدم عدد المستخدمين الجدد على Face bookفي العام 2010 30 مليار موضوع (روابط ـ ملاحظات ـ صور وغيرها) تم مشاركته على Face book شهريا . وقد وبلغ عدد التطبيقات اليومية المصنفة لـ Face book ب 20 مليون استخدام .

ـ وتم عرض صور متحركة بالفيديو على الانترنت على النحو التالي: 2 مليار عدد ملفات الفيديو التي يتم مشاهدتها يوميا على . YouTube 35 ساعة فيديو يتم رفعها إلى YouTube كل دقيقة 186 .عدد مقاطع الفيديو التي يشاهدها المستخدم شهريا (الولايات المتحدة) أكثر من 02 مليار عدد مقاطع الفيديو التي يتم مشاهدتها شهريا عل. Face book و20 مليون مقطع فيديو جديد يتم رفعه إلى Face book شهريا ـ أما عن عرض الصور الثابتة عبر الانترنت فهي على النحو التالي:

(1) إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات 2010 لمستخدمي الانترنت في العالم على الموقع الاليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ـ topic يناير 27 ، 2011 الساعة 8:36

ـ 5 مليار صورة محتضنة في Flickr حتى ايلول2010.

ـ أكثر من 3000 عدد الصور التي يتم رفعها إلى Flickr كل دقيقة.

ـ 130 مليون عدد الصور التي يتم رفعها إلى Flickr شهريا.

ـ أكثر من 03 مليار عدد الصور التي يتم رفعها إلى Face book شهريا

ـ 36 مليار عدد الصور التي يتم رقعها إلى Face book سنويا[1].

ـ وعربيا يشكل المستخدمين العربي حوالي 5٪ من إجمالي مستخدمي الإنترنت بينما يقل المحتوى العربي على الإنترنت عن 1٪ وذلك وفقا لما ذكره المدير التنفيذي لمؤسسة جوجل الإمارات خلال الدورة العاشرة للعام 2011 من منتدى الإعلام العربي في دبي بالإمارات العربية المتحدة[2]:

ـ وقد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي حوالي 55 مليون من إجمالي 350 مليون عربي أي ما نسبته 16٪[3].

فيما بلغ عدد المدونات العربية حوالي 490 ألف مدونة أي تمثل 0.7٪ من مجموع مدونات العالم الناشط[4] ، وقد بلغ عدد المشتركين العرب في الـ face book وهى الشبكة الاجتماعية التي تضم أكبر عدد من العرب حوالي 15 مليون وهو ما يفوق عدد قراء الصحف في العالم العربي بحوالي المليون حسب شركة سبوت اون للعلاقات العامة .

على الرغم من هذه الأرقام التي تعكس واقعا فقيرا في معطياته إلا أن الطابع الاستهلاكي بلا شك واضح عليها فالتفاوت الرهيب بين إنتاج العرب للمحتوى مثل المدونات واستهلاكهم لخدمات التواصل الاجتماعي واضح بشكل كبير.

حيث أن نسبة المدونين العرب إلى إجمالي المستخدمين العرب تبلغ تقريبا 1.3٪ وأمام هذه الطبيعة المختلفة والتحديات المتسارعة للإعلام الجديد يقف العرب بأرقام هزيلة تعكس فقر الواقع العربي المنتصب في موقف المستهلك أكثر منه في موقف المنتج الموجه لهذه الوسائط الاعلامية البالغة الأهمية والخطورة في آن معا .

(1) إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات 2010 لمستخدمي الانترنت في العالم على الموقع الاليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ـ topic نفس المرجع السابق

(2) نادي دبي للصحافة ، منتدى الإعلام العربي الدورة العاشرة 2011 يومي 17 ـ 18 ماي 2011 تحت شعار « الإعلام العربي وعواصف التغيير » http://www.arabmediaforum.ae/ar

(3) موقع ويكيبيديا الاليكتروني ، الإنترنت في العالم العربي جدول عدد المستخدمين حسب الدولة (إحصاءات مارس 2009 http://ar.wikipedia.org/wiki / 27 مارس2010

(4) محمد بدوي أخلاقيات الانترنت في الوطن العربي http://www.badwi.com/blog

03 ـ الإعلام الجديد وآليات التغيير في المنطقة العربية

تشير إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة للعام 2010 ، كما سبق ذكره ، إلى أن عدد مستخدمي الفيس بوك في العالم قد وصل إلى حدود 600 مليون نهاية العام 2010 ، فيما يشكل العرب المستخدمون للفيس بوك تعداد مجموع 15 مليون مستخدم وفيما يشكل المعدل العالمي لاستخدم الفيس بوك حوالي 10% لا تتجاوز النسبة عربيا حوالي ال 05% من مجموع تعداد السكان العرب ، بينما لا تتجاوز نسبة المدونات العربية على الانترنت نسبة ال0.7% من مجموع المدونات عالميا البالغ عددها مع بداية العام 2011 حوالي 152 مليون مدونة ، بينما تشكل نسبة التعداد السكاني للعرب 05 % من سكان العالم ، وهو ما يفسر موقع العرب الاستهلاكي من الشبكة العنكبوتية العالمية ، وضحالة امتداد هذه الوسائط الاجتماعية في الوطن العربي لاعتبارات مختلفة لعل أهمها :

ـ استمرار تفشي الأمية بنسب عالية عربيا(1).

ـ نقص التحكم في تقنية الانترنت وضعف القدرة الشرائية لامتلاك أجهزة الإعلام الآلي عند كثير من أفراد المجتمع .

ـ ضعف التغطية الوطنية الكافية بالانترنت ، الأمر الذي يحول دون أن يشمل الانترنت كل مناطق البلاد العربية.

ـ ارتفاع تكلفة الإبحار في شبكة الانترنت في كثير من البلدان العربية.
ـ نقص الرغبة ـ الرسمية ـ في الانفتاح الحقيقي على التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال ، تحت ذريعة ما قد يترتب عن ذلك من مخاطر تهدد رغبة الأنظمة في استقرار المنطقة والتحول التدريجي نحو الديمقراطية بالأخذ بعين الاعتبار ظروف وإمكانيات كل بلد .

غير انه برغم التعاطي العربي الحديث نسبيا مع الإعلام الجديد مقارنة بما هو عليه عالميا ، إلا أن هذا الهامش المتاح من التعاطي مع الإعلام الجديد ـ على قلته وحداثته ـ يكون قد خلق فرصة كبيرة في الأوساط الاجتماعية وخصوصا في الوسط ألشباني العربي ، للقفز فوق الحواجز الرسمية التي كانت تصاحب أداء الإعلام التقليدي في مواجهة تطلعات كثير من الشرائح الاجتماعية العربية المنبهرة بما تعيشه شعوب الدول الأخرى من العالم المتقدم سياسيا واقتصاديا وإنسانيا. لذلك ، لم يكن الإعلام ، والإعلام الجديد في البلاد العربية على وجه التحديد ،

(1) جريدة الشرق الأوسط ، السعودية ، 2009 نهاية عقد : ترحيل مشكلات الأمية والفقر والبطالة في العالم العربي إلى 2010 ، مرجع سبق ذكره

مجرد ناقل للوقائع والأحداث في المنطقة العربية والعالم ، وإنما تحوّل بحكم طبيعته التكنولوجية الميسرة والتفاعلية ، واتّساع نطاق استخدامه بين كل الفئات الاجتماعية وخصوصا الشباب ، إلى واحد من المحرّكات التي تفرض خيار سرعة « التغيير الديمقراطي » داخل المجتمع.

إن الدور الواضح للقنوات لفضائيات التلفزيونية منذ بداية الألفية الثالثة ، وافتكاك الانترنت لقاعدة تعاطي عريضة ، تتسع باستمرار لتستقطب مزيدا من المستخدمين والمدونين والمواقع الجديدة ، هذا الوضع يكون قد خلق بيئة اتصالية عربية جديدة أهم مميزاتها أنها :

- بيئة اتصالية أكثر حرية وأكثر تحررا من الرقابة .
- بيئة اتصالية تبتعد عن الطرح الرسمي للأنظمة الحاكمة.
- بيئة اتصالية غير محكومة بأي منظومة قانونية .
- بيئة اتصالية تتجاوز الحدود وتتجاوز الجغرافيا .
- بيئة اتصالية أكثر تفاعلية .

فقد ظهر الإعلام الجديد بأدواته ووسائله الجديدة كثورة في عالم الاتصال ، ليقلب المعادلة الاتصالية ـ المرسل ، الرسالة ، المتلقي ـ رأسا على عقب ، إلا أن التغيير الحقيقي لم يتوقف عند الوسائل فحسب ، لكنه امتد ليشمل المفهوم أيضا، فأصبح كل مستخدم عربي للانترنت بإمكانه أن يكون « مرسلا » قادرا على استخدام كل الوسائط المتوفرة على الانترنت ، على اختلافها من النص إلى الصورة والصوت أو فيديو وبالتالي بات العالم العربي بدون سابق إنذار أمام فيضان إعلامي غير مسبوق ، تحول بموجبه المتلقي العربي إلى مرسل يتمتع بكل الفرص والصلاحيات التي كانت حكرا على المؤسسات الإعلامية الرسمية. برغم الأدوار الواضحة التي يكون الإعلام التقليدي ـ الإذاعة ، التلفزيون ، الصحف ـ قد تبوأها في التحولات التي تعرفها المنطقة العربية من خلال القنوات الفضائية التلفزيونية والتركيز الكبير الذي خصه الإعلام الغربي لسيران الأحداث في المنطقة العربية بحكم تعرضها منذ أكثر من عشريتين لتركيزإعلامي كبيرتحت عدسات قنوات الإعلام العالمي بحكم تموقع العالم العربي في قلب أحداث الشرق الأوسط، إلا أن المنطقة بقدر تواجدها تحت هذه الأضواء الإعلامية العالمية والمحلية التقليدية ، يكون الإعلام الجديد عبر الوسائط الاليكترونية قد أحدث هزة عنيفة مع نهاية العام 2010 على وقع الثورات المتتابعة في الشارع العربي في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا والبحرين التي كان فيها لوسائط التواصل

الاجتماعي عبر الانترنت كالفيس بوك اليوتوب وتويتر ، الدور البارز في تحريك الشارع اتجاه الثورة على أوضاعه الداخلية ، التي كانت إلى عهد قريب رهينة تعاطي حذر ومتراخي من قبل الإعلام التقليدي المتهم بالانحياز إلى المواقف الرسمية الحكومية في أغلب الأحيان .

تطورت أدوات الإعلام الجديد بشكل كبير في السنوات الأخيرة ، الأمر الذي مكن كثير من النخب الثقافية والفكرية العربية من التعاطي مع هذه الثورة الاتصالية البديلة عن الإعلام التقليدي . و قد ظهرت أدوات تقنية سهلة الاستخدام ، غير مكلفة ، ومتحرر عن الرقابة بكل أنواعها ، ساعدت على أن يتجاوز أفراد المجتمع الواحد كل قنوات التواصل التقليدية ، في كثير من حاجاتهم الاتصالية والإعلامية ، لينتقل الإعلام التقليدي من أطر محددة ، مقننة ، وضيقة إلى أطر أوسع وأكثر تحررا وانفتاحا على الجميع ، فأصبح بإمكان كل مواطن عربي أن يكون مواطنا صحفيا ، يمتلك صحيفته وقناته الإذاعية أو التلفزيونية ويخاطب الآخرين ، من غير قيد أوشرط ، وربما من غير قيد مالي. دون الحاجة إلى وجود خبرة أو تخصص إعلامي ، ودون الحاجة إلى ترخيص أو إذن من احد وأصبح كل مستخدم لأدوات الإعلام الجديد يمكن أن يتحول إلى ناقل للحدث ضمن شبكات بشرية ضخمة جدا داخل القرية الكونية الصغيرة. وهو بالضبط ما تم ممارسته إبان الحراك الاجتماعي الذي عرفه الشارع العربي في البلاد العربية السالفة الذكر من صائفة 2010 فقد وجد الشباب العربي في ما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعية من تطلعات إعلامية البديل الأسرع والأبلغ في إحداث ثوراته في مواجهة عديد الأنظمة العربية المترهلة سياسيا واقتصاديا ، فقد كانت هذه الشبكات عبارة عن منصات تكنولوجية مكنت ملايين المستخدمين من التشارك الفوري والالتفاف حول معلومات وأهداف وشعارات ومطالب ورؤى موحدة ، مع تبادل محتوى متنوع ضمن عملية ترابط مع جميع الشبكات والمواقع الأخرى. هذا الأمر استفاد منه محركو الثورات العربية ـ المجهولون والمعلن عنهم ـ في إيصال أصواتهم وتصوراتهم إلى الرأي العام المحلي والدولي ، بدعم وتغطية غير مسبوقة من بعض الفضائيات العربية ، خاصة الجزيرة القطرية والعربية الإماراتية السعودية إلى جانب دعم من القنوات الغربية الناطقة بالعربية كالحرة الأمريكية أو البي بي سي البريطانية أو فرونس 24 الفرنسية .

استفاد الناشطون في الشارع العربي الثائر من هذا النوع الجديد من الإعلام الأمر الذي مكنهم من نقل أخبارهم وأحداث ثوراتهم إلى العالم بوهج إعلامي غير مسبوق ، وذلك من خلال توثيق كامل لجميع الأحداث بالصورة والصوت ،

بديلا عن الإعلام التقليدي الذي كان مغيبا بقرار من الأنظمة وتحت تأثير المفاجأة، فقد كان هذا البديل الإعلامي الجديد يحمي الثورات ويوثق أحداثها وينقل صورتها إلى العالم الخارجي .

فقد كانت الشبكات الاجتماعية (الفيس بوك ، تويتر) وموقع (اليوتوب) وهو موقع مختص بأفلام الفيديو التي يضعها المستخدمون من كل مكان ، من أهم الأدوات التي تم استخدامها في كل من الثورة التونسية والمصرية والليبية واليمنية والسورية في الترويج لأخبارها وأحداثها ، فبدأت الصفحات على الفيس بوك تروج وتمهد لهذه الثورات حتى قبل بداياتها وإذا تأملنا التغييرات العربية الحالية ، نلاحظ أن مواقع الإعلام الجديد ساهمتْ في تأجيج الثورات « فيسبوك »و« تويتر » كانا الساحة الأساسية للتحركات الشعبية التي حدثت في تونس ثم مصرثم ليبيا وسوريا واليمن ، إنها أشبه ما تكون بفتوحات جديدة تستحق التأمل والبحث ، فالإعلام الجديد كان الوقود الذي أيقظ التغييرات الحالية »(1) .

فاستناد شريحة واسعة من المجتمعات العربية على هذا النوع من الوسائط الإعلامية في التنسيق والتخطيط والتنفيذ لفرض التغيير داخل البلدان العربية بعيدا عن الوسائط المعروفة من قبل ، عبر ما تجود به الأنظمة السياسية من مجال إعلامي وقدر من حرية التعبير ، خلق معادلة سياسية وإعلامية جديدة ، جاءت بتحولات متسارعة فرضت نفسها على ساحة الإعلام العربي ، تحولات عصفت و بشكل مفاجئ بالمشهد الإعلامي العربي التقليدي ، لتعيد رسم ملامح عمل كل المؤسسات الإعلامية وسياسات التحريرالصحفي والأدوات الإعلامية المستخدمة والبرامج والخطط الإعلامية والسياسية المستقبلية ، التي باتت تبحث في ثقافة المصدر المفتوح وأمن المعلومات ودور الإعلام في خدمة قضايا الشباب. فقد أصبحت الصفحات الشخصية للفرد العربي في « تويتر » و« فيسبوك » جزءاً من حياة الملايين بعيد عن أي سلطة رقابية ، وهي لا تحتاج إلى عناء كبير في بناءها أو التقاطها أو تحديثها ، فهاتف صغير في حجم الكفّ يمكنه أن يكفي لإطلاق الرأي أو إعلان دعوات التغيير.

يرى الإعلامي نارت بوران ، مدير المحطة الإخبارية في سكاي نيوز عربية ، بشأن دور شبكة التواصل الاجتماعي عبر الانترنت في الثورات العربية أن : « ما يحدث الآن يعد هائلاً على كل الأصعدة ، ولا يمكن التقليل منه بأي حال من

(1) الإعلامي تركي الدخيل ، العالم العربي بين الإعلام الجديد والقديم : هل بدأت الثورة ؟ المقال منشور على موقع الكاتب http://www.turkid.net يوم 25 يوليو 2011

الأحوال ، ولكن من وجهة نظر وسائل الإعلام الاجتماعية يعتبر ذلك ضخماً جداً بسبب أن المصدر الوحيد للكثير من الأخبار عن هذه الأماكن تستقي من الناس الموجودين على الأرض والذين هم في قلب المعمعة وخضم الأحداث ، هذا فضلاً عن دورهم في نقل الخبر حول من أصيب ومن قتل والتقاط الفيديوهات والصور عبر الهواتف النقالة .هناك مقدار من الضغط على كاهل المؤسسات الإعلامية الطيبة السمعة ، وهذا أمر يتعلق بمصداقيتها أيضاً ويفرض عليها التعاطي مع الوقائع من وجهتي النظر الموجودتين على الأرض فضلاً عن مصادر أخرى مستقلة. إن وسائل الإعلام التقليدية بما فيها القنوات الفضائيات خضعت لسلطة الإعلام الجديد من خلال الإغراء الذي قدمته للمتابعين ، إن الرسائل الالكترونية ، المصورة والمسموعة والمكتوبة أصبحت هي شاهد العيان الرئيسي ، خاصة مع خروج الكثيرمن الفضائيات عن المهنية ودخولها ملعب السياسة والتلون في الرأي. ويستشهد على القيمة الإعلامية للفيس بوك في نقل الأخبار بحادثة الشاب التونسي محمد بوعزيزي الذي كانت وفاته الشرارة الأولى في تأجيج الثورات في الشارع العربي عبر شبكات التواصل الاجتماعي ، بعد تسجيل عدم اكتراث الإعلام العربي التقليدي بالحادثة . فلو بقيت حادثة بوعزيزي محصورة في الرواية الرسمية التونسية وفي تونس فقط ، لماأخذت الحادثة كل هذه الأبعاد ، عربيا ودوليا ، ولكن ما أتاحه فيس بوك وتويتر اليوتوب كان السبب في ما ترتب عن الحادثة عندما قامت فتاة تونسية بنشر صور التقطتها عبر هاتفها النقال لتعرف طريقها إلى الملايين

الواضح أن الإعلام الرسمي العربي مع النجاحات التي حققها فيس بوك وباقي شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت ، فقد الكثير من مواقعه ونفوذ ه على وسائل الإعلام وعلى الرأي العام ، عندما بدأ ينسحب أداءه تدريجيا لصالح الإعلام الجديد رغم حرص الأنظمة العربية على اختلافها لإحكام سيطرتها على توجهات الرأي العام .

أدى هذا الوضع الإعلامي الجديد ، المفروض على البلاد العربية إلى فقدان الحكومات كل إمكانية في السيطرة على اللعبة الإعلامية ، رغم ما تسخره الحكومات من استثمارات هائلة في الإعلام التقليدي على أمل الاستمرار في الإمساك بزمام المبادرة وصناعة الرأي العام الداخلي والخارجي .

انتصاب هذه الثنائية الإعلامية في المنطقة العربية ـ إعلام تقليدي رسمي / إعلام الشبكات الاجتماعية ـ نشأ عنه ما يشبه الاغتراب غير المسبوق ، بين قسم كبير من المجتمع ، يتبع العالم الافتراضي ، الذي أتاحته الثورات التقنية ، المتحرر

من قيد المكان املاءات السلطة الحاكمة ، اغلبه من الشباب ، وقسم آخر من المجتمع يتبع وسائل الإعلام التقليدية .

يزيد هذا الوضع من حال التفكك داخل المجتمعات العربية ، الأمر الذي يخدم على المدى البعيد منطلقات العولمة الرامية هي الأخرى إلى تفكيك الدولة القومية والقفز على الحدود الجغرافية والانفراد بالمتلقي أمام تدفقات غير منتهية من الأخبار والثقافة والترفيه والإعلان . .

خاتمة :

بناء على ما ورد فهذه الدراسة من معطيات حاولنا من خلالها الإحاطة بما أنيط من أدوار مضمرة أو غير معلنة لوسائل الإعلام ومضامينها ، وقفنا عند نتيجة نعتقد أنها على غاية من الأهمية والخطورة بالنسبة لإعلام العولمة الذي تحتكر الولايات المتحدة الأمريكية الحيز الأكبر منه ، إن بالنسبة للوسائل أوالمحتويات . تتمثل هذه المهمة أساسا في أن الإعلام العالمي المستسلم في شق كبير منه للهيمنة الغربية ، يتولى ضمان التغطية الفكرية والإيديولوجية لفتوحات قوى العولمة ، باعتبارها وضعا دوليا جديدا ، يخترق مجتمعات غير صناعية ، متخلفة ، ذات ثقافة تقليدية ، تقاوم هذا الوضع الجديد ، متشبثة بخصوصياتها وتقاليدها وأعرافها ومعتقداتها .

لذلك لم يكن بإمكان للولايات المتحدة ، ولا الشركات العابرة للقارات ، ولا المؤسسات المالية والتجارية ، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي و المنظمة العالمية للتجارة ، لم يكن بوسع هذه الجهات مجتمعة أن تحقق هذا التوغل في خصوصيات الدول والشعوب ، فلولا هذا الإسناد اللوجيستي الإيديولوجي النفسي ، وهذه الشحنة الدعائية المتواصلة ، المتعددة الأوجه والوسائط المختلفة ، من وسائل الإعلام والاتصال المحلية والعالمية ، كالقنوات الفضائية التلفزيونية والقنوات الإذاعية والصحف الورقية والاليكترونية وقنوات التواصل الاجتماعي من الفيس بوك إلى تويتر اليوتوب وبنوك المعلومات ، والوكالات العالمية للأنباء ، إلى جانب كثافة امتلاك الهاتف المحمول والتطور الهائل في تقنيات الإرسال والاستقبال الفضائية من أقمار صناعية ومحطات الاستقبال والبث فثورة الإعلام في عصر العولمة في عمومها كانت نتاج ثورة تكنولوجية اتصالية تولد عنها ثورة عارمة في مجال الإعلام والاتصال ، تمكنت

عمليا أن تغطي القارات الخمس على مدار الساعة واللحظة ، فحولت الكرة الأرضية البيضاوية الشكل إلى مساحة مسطحة لا يكاد يختفي فيها شيء .

وجدت كثير من شعوب العالم في هذه الثورة الإعلامية متنفسا عن بدائية ضلت تعانيها لعقود من الزمن ، إلا أن هذا التقاطع بين مصلحة شعوب ودول العالم الثالث ومصلحة الدول الصناعية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في الاستفادة من هذه الثورة الإعلامية الاتصالية .

قائمة المراجع :

أولا . الكتب :

01 ـ د.انتصار إبراهيم عبد الرزاق و د.صفد حسام الساموك ، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع ، الطبعة الالكترونية(1) 2011

02 ـ د محمود عبد الله ، الإعلام وإشكاليات العولمة ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 عام 2010

03 ـ مصطفى محسن ، أطروحة نهاية التربية في الخطاب العولمي الجديد ـ في كتاب العولمة والنظام الدولي الجديد ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ديسمبر2004

04 ـ الفين توفلر ، تحول السلطة : المعركة والثروة والعنف على أعتاب القرن الحادي والعشرين ، ترجمة لبنى الريدي ، سلسلة الآلف ، الكتاب الثاني ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سن1995ص82

05 ـ محمد شومان ، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، مجلة عالم الفكر ، 1999المجلد 28 أكتوبر/ديسمبر، الكويت .

06 ـ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق محمد الدليمي ، الإشكاليات التي تحد من حرية الصحفيين المهنية ، دراسة في كتاب «الملتقى الدولي القانون وقضايا الساعة « الذي ناقش موضوع» أخلاقيات الممارسة الإعلامية بين ضوابط القانون وواقع المهنة ، بمعهد العلوم القانونية والإدارية بالمركز الجامعي خميس مليانة ولاية عين الدفلى ـ الجزائر في 27/26 أكتوبر 2010

07 ـ أ د أحمد علي الحاج محمد ، العولمة والتربية آفاق مستقبلية ، سلسلة كتاب الأمة ، العدد 145 الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ القطرية للطباعة ، 2011 .

08 ـ د المنجي الزايدي ، ثقافة الشباب ومجتمع الإعلام ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت ، العدد 1المجلد 35 يونيو/ديسمبر 2006 .

09 ـ توماس ماكفيل الإعلام الدولي: النظريات ، الاتجاهات والملكية «دار الكتاب الجامعي ، الإمارات العربية المتحدة العين ، 2005 ص167.

10 ـ د . مصطفى محمد زكي الدباغ ، الخداع في حرب الخليج ، دار البشير ، عمان الأردن ، 1992

11 ـ حمدي قنديل ، الجوانب القانونية والفلسفية في حق الاتصال ، مجلة الإعلام العربي ، العدد21 لعام 1992

12 ـ شيلدون رامبتون ، وجون ستوبر ، أسلحة الخداع الشامل : استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق ، الدار العربية للعلوم ، بيروت لبنان ، 2004 .

13 ـ د صباح يسين الإعلام النسق ألقيمي وهيمنة القوة ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت 2006

14 ـ د صابر حارص ، الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية ، العربي للنشر ، القاهرة ، 2008.

15 ـ فرنسيس بال ، ترجمة فؤاد شاهين ، الميديا ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان 2008 .

16 ـ هنري كيسنجر ، ترجمة : مالك فاضل ، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا ، الدار الأهلية عمان ،1995.

17 ـ د.حميد حمد السعدون ، العولمة و قضايانا ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999.

18 ـ حامد يوسف حمادي ، ورقة مقدمة إلى اجتماع اليونسكو في اسطنبول ، صحيفة الإعلام ، ع 249 ، بغداد 2003/1/8.

د.انتصار إبراهيم عبد الرزاق و د.صفد حسام الساموك ، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع ، الكتاب الأول ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة ، جامعة بغداد ، الطبعة الاليكترونية الاولى2011 .

ثانيا : المواقع الاليكترونية

01 ـ أسلامة احمد سلامة ، أسطورة حرية الصحافة في أمريكا ، المنشور في11.21/ 2003 على الموقع الاليكتروني www.aldjazira.net/inde pth.opinon .
02 ـ موقع ويكيبيديا الاليكتروني ، الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki/ يوم 11/ 11 /2010
03 ـ عن موقع قناة فرونسا 24 البيت الأبيض يستنكر التسريب «المتهور» لهذه الوثائق2010.11.29 . http://www.france24.com/ar/

ثالثا : ملتقيات وندوات وصحف

01 ـ حمدون توري ، رئيس الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات مستخدمي الانترنت في العالم للعام 2010 على الموقع الأليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ـ topic يناير 27 ، 2011 الساعة 8:36 .
02 ـ إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات 2010 لمستخدمي الانترنت في العالم على الموقع الاليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ــ topic يناير 27 ، 2011 الساعة 8:36 .
03 ـ إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة ، إحصائيات 2010 لمستخدمي الانترنت في العالم على الموقع الاليكتروني http://syriaweather.syriaforums.net/t207 ـ topic
04 ـ نادي دبي للصحافة ، منتدى الإعلام العربي الدورة العاشرة 2011 يومي 17 ـ 18 ماي 2011 تحت شعار «الإعلام العربي وعواصف التغيير http://www.arabmediaforum.ae/ar .
05 ـ موقع ويكيبيديا الاليكتروني ، الإنترنت في العالم العربي جدول عدد المستخدمين حسب الدولة (إحصاءات مارس http://ar.wikipedia.org/wiki2009 / 27 مارس2010.
06 ـ محمد بدوي أخلاقيات الانترنت في الوطن العرب: http://www.badwi.com/blog
07 ـ جريدة الشرق الأوسط ، السعودية ، 2009 نهاية عقد : ترحيل مشكلات الأمية والفقر والبطالة في العالم العربي إلى 2010 ، مرجع سبق ذكره .
08 ـ الإعلامي تركي الدخيل ، العالم العربي بين الإعلام الجديد والقديم : هل بدأت الثورة ؟!المقال منشور على موقع الكاتب http://www.turkid.net يوم 25 يوليو2011 .